

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في المراق بالبريد السريع
١	نمن العدد الواحد

الاعصونات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها للسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - هابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة

القاهرة في يوم الاثنين ١٤ شوال سنة ١٣٦٠ - الموافق ٣ نوفمبر سنة ١٩٤١

العدد ٤٣٥

« حى »

للأستاذ عباس محمود العقاد

كنت يوماً بمكتب صحيفة « المحروسة » فالتقت وأنا خارج منه
صاحبها الأستاذ اللياس زيادة والد الآنسة « حى » رحمهما الله
وكان من عادة إذا لقيني أن يخاطبني باسم الأديب حسين فتوح ،
وإذا لقي الأستاذ فتوحاً خاطبه باسمى ومضى معي أو منى مسافة
بصحح فيها الاسم ويتلطف بالاعتذار ويتناول بعض الأحاديث
للعامه ...

وجرى الحديث إلى مؤلفات الآنسة فقلت : إنها جذيرة
بأن تفخر بها . إنها أعظم كاتبة في العربية
قال : ولك أن تقول : أعظم كاتب

يريد أن للمفانلة والتفضيل قد يجريان بينها وبين الكتاب
ولا يقتصر على الكتابات . فقلت من كيا تهاوته : ليس زهو
الأب وحده بالذى بملى عليك هذه الشهادة . إن كثيرين غيرك
ليسبقونك إليها

وكان الرجل على حق في فخره وتقديره . فثل الآنسة « حى »
من يفخر بها الآباء وغير الآباء من أبناء العربية ، ومنزلها
في الثقافة وخدمة الرأي منزلة فضل بين الكتاب والكواكب ،
وإن كنت قد أردت أنها أعظم كاتبات العربية جميعاً منذ عرفت

الفهرس

صفحة

١٣٣٢	« حى » ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٣٣٦	أومن بالانسان I ... : الأستاذ عبد النعم خلاف
١٣٣٩	الأخلاق عند الفزال ... : الدكتور زكى مبارك ...
١٣٤٤	كيف يكتب التاريخ ... : الدكتور حسن عثمان ...
١٣٤٨	ثورة على ابن سينا ... : الدكتور جواد طى ...
١٣٥١	الصناعة والموالة ... : الأستاذ زين العابدين جمعة
١٣٥٤	المصريون المحدثون : ... : للمستشرق إدور وليم ليب شمالهم وعاتاتهم ... : بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٣٥٧	لبي ... ؟ ... [قصيدة] : « الشاعر المجهول » ...
١٣٥٨	المحتسب في الاسلام ... : الأستاذ كامل يوسف ...
	أصل كلمة النقط ... : الأستاذ عبد العزيز عبد الحميد
١٣٥٨	في نقد الأصول ... : الأستاذ محمد أبو البهاء ...
١٣٥٩	في الحوارج ... : الأستاذ أحمد صفوان ...
	حق الضيافة ... : الأستاذ محمد أحمد عمر ...
١٣٥٩	« هبر كنا... » ... : الأستاذ محمد عمود رضوان
١٣٦٠	حول كلمة « هبر » ... : الأديب إبراهيم محمد نجما ...
	الصباح الأدبي في دمشق : (ع . ع) ...

لنفتنا للكتابات ، ولم أرد أنها أعظم الكتابات في عصرنا هذا دون غيره

وما تتحدث به ممتع كالقلى نكتبه بعد روية وتحضير ، فقد وهبت ملكة الحديث في طلاوة ورشاقة وجلاء ، ووهبت ما هو أدل على القدرة من ملكة الحديث - ونعني به ملكة لتوجيه وإدارة الأحاديث بين الجلساء المختلفين في الرأي والمزاج والمقام - فيكون في مجلسها عشرة : منهم الوزير والموظف الصغير ، ومنهم المحافظ والمثالي بالتجديد ، ومنهم المرح للترثار والوقور التزمت ؛ فإذا دار الحديث بينهم أخذ كل منهم حصته على سنة المساواة والكرامة ، وانفتح مجال القول لرأيه وللرأى الذى يتقضه ويشتد في تقضه ، وانتظم كل ذلك في رفق ومودة ولباقة ، ولم يشر أحد بتوجيهها وهي تنقل الأحاديث من متكلم إلى متكلم ، ومن موضوع إلى موضوع ، كأنها تتوجه بغير موجه وتنتقل بغير فأقل ، وتلك غاية للبراعة في هذا المقام

بقيت لها هذه الملكة في أشد أيام السقم والسامة ، فلم يكن سامعها يحس فرقا بين «ى» في إبان عافيتها و «ى» في ساعات الضنى والإعياء حين يستطرد الكلام إلى الأدب أو إلى التاريخ أو إلى معارض الآراء . ولم أسمع منها قط في معرض من هذه الأمراض إلا ما هو خليق بالإصغاء والتدوين

وكانت لها فطنة للضحك تحيى المساجلة وتزين الحوار ، ولكن فطنتها للمواقف المضحكة كانت أدق من فطنتها للنكتة واشتراكها فيها ، وكانت كبيرة الإعجاب بفكاهة المرين التى تسميها «للفناشة» أو للثقافية التى لا تمذر ولا ترحم ا

بحث بعض أساطين الشرقيين بمد للتورة الوطنية في توحيد الأذى اللامم للبلاد الحارة ، وكان أحمد شفيق باشا صاحب الحوليات والمذكرات المشهورة رئيسا لجماعة الرابطة الشرقية وحريصا على إشاعة الأذى الموحد بين الأمم العربية وأمم الشرق الأدنى عامة ، ولقرط حرصه على هذا لم ينتظر إقناع للناس ولبس الأذى الذى ارتنساء ثم مشى به في طرقات للمصحة إلى محبتها مؤثرا للنشى على الركوب لبراء للمسايلة في تلك الطرقات الحافلة

وكان يوم ثلاثاء ونحن في مجلس الأئمة والوزار كثيرون

وأقبل بعض للفضلاء يتسم كن يغالب شحكة جامعة

فأنته : م للضحك ؟ فقال : كنت اللعظة أعبر يار القواء

فنادانى أمين واصف بك وسألنى : رأيت شفيق باشا في زيه الجديد ؟ والله لقد حسبته مسجوناً مسروقاً إلى محطة للماصمة لتصفيره إلى الليمان ا ا

هى تعرف شفيق باشا وتعرف أمين بك ، وتعرف أن الأول

رئيس الثانى في جماعة الرابطة للشرقية ، ومع هذا لم يرجه حين جاء في طريق للثقافية ا

فلا أنسى كيف غلبت شحكاً لهذه المفارقة « المصرية » وهذا

للتشبيه العابت ، واندقمنا جميعاً نضحك وهى تضحك حتى أغرورقت عيناها بالدموع ، وحتى قال الأستاذ مصطفى همدالرازق بحياته المروف : ما بالنا أيها الإخوان نضحك هذا للضحك وننسى وقار المجلس ؟

فهتف به الأستاذ خليل مطران مداعباً : اشحك اشحك -

يا أخى ا من الذى يجد للضحك ويفرط فيه ؟

وكانت مهرة ضاحكة من سلامها إلى وداعها ، وكانت «ى» في تلك الليلة كأحسن ما كانت بشاشة وأنساً وغبطة وإقبالاً على الحديث والمساخنة ... رحمها الله . ما رأيتها بمد ذلك في صورة آنس من تلك للصورة ، وتلك للباشاشة كلها ، وذلك الكاء كله الآن في التراب ، بمد سنوات مسحت فيها للثضرة ، ورائت للعمة ، ونضب معين الأمل وللنبطة ، وطال الألم والمذاب ا ألا ما أسخف للحياة ا

لقد كان مصابها بأماها بمد أهبها في أشهر قلائل صدمة عظيمة

ززلت كل ما بقى في جنباتها من يقين وسلوى

لكنها كانت قبل ذلك قاسية على نفسها كثيرة الانطواء

على دخيبتها . وكان يحيل إلى أن احتراسها للفرط خصلة عميقة

في سريرتها لازمتها من ريمان شبابها ، لأنها كانت قليلة الأمان

والطما زينة إلى الناس ، وكانت على دمايتها لا تنع الحواجز بينهم

ويديها ، ولا تفتأ وراء سور من الحيطه والسكنان

وكنت أشفق من فرط احتراسها وكلفتها ؛ فقلت لها يوماً

فإن اسم ماري نفسه ليس بالاسم الطويل ولا للكثير الحروف
تذاكر الأدياء في مجلسها يوماً مناقب رجل من أعظم
رجالنا المصريين فشاركهم في محابهم به وتناءهم عليه ، واستأذنت
بعد ذلك أن تلومهم أمامهم في أمر صغير

قالت : كنت في الجامعة المصرية تقدمني إليه الأستاذ لظني
السيد وتفضل فأطرى كتاباتي العربية والأجنبية بما شاء له
فضله وتشجيعه

ثم قالت : فلا أدري لماذا نسي الزعيم العظيم أنني عربية
وأنتي كاتبة عربية واختار أن يخاطبني بالفرنسية ويصر على
مخاطبتي بها مع إجابتي له بالعربية على كل سؤال
وبدا عليها حقاً أنها غضبت لمرئيتها من أن يخاطبها مصري
عظيم بشير لفته ولنتها ، وهي هي التي تفقن خمس لغات وتكتب
بكل لغة كتابة يرضاها للقراء من أبنائها . ولقد تكون الواحدة
من بناتنا وما تحسن لغة واحدة كلاماً فضلاً عن الكتابة ، ثم
لا تزال ترطن بها في البيت والطريق مع أبناء جنسها كأنها
لا تفهم لغة غيرها

وواجب لي في عنق العربية أن تنار على أديها كثيرة هي
على نسبتها إليها - فاعرفت العربية كاتبة أفضل مني وأقدر
وأجلى ، وليس فضل اللندرة هنا بأقل من فضل الإحسان
والإيقان .

حيها الله في ذكراها

هباس محمد العقاد

مجموعات الرسالة

تبع مجموعات الرسالة مجلة بالأمان الآتية :
السنة الأولى في مجلد واحد . ٥٠ قرشاً ،
و٧٠ قرشاً من كل سنة من السنوات : الثانية
والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة
والثامنة في مجلدين . وذلك عند إجراء البعوضتها
لحمة قروش في الداخل ومعترقة قروش في السودان
ومشرون قرشاً في الخارج من كل مجلد .

جترتاً على مصارحتها : أنا على رأيك يا صديقتي في أن الناس
لا يؤمنون ، ولكني لست على رأيك في نفع الحذر وجبوى
الاحتراس . بل عندي أن عناء الاحتراس أضرم من كل عناء
بصيننا به ترك الحذر وقلة المبالاة . فلا تبالي ولا تحترسي وانطلي
في حياتك فذلك أخف الضررين

قالت : كأنك تبيد علي ما قاله الأستاذ داود بركات

قلت : وماذا قال !

قصت علي حديثاً جرى بينهما في السفينة وهما عائدان من
أوريا ، وكانت في السفينة مهرة راقصة والليل رائق والبحر ساج
والطرب غالب على المسافرين . ورأها الأستاذ داود منزوية في ركن
من الأركان كأنها تأتي أن تشاركهم أو تشارك الطبيعة في فرسة
الصفاء . فناداها كالأجر للتند : ما بالك تكفيني على نفسك
حكوف العجايز ؟ تعالى ارقصي واطربي مع هؤلاء الفتيات والفتيان
فهم من هو أكبر منك وكهم يسبقونك في مجال السرور

قلت : وماذا أجبتة ؟

قالت : تضايقت منه !

ثم أومأت إلى منفرة باسمة وقالت وهي تتعصب الحديث : فإن
أردت أن تضايق منك فمد إلي نصيحتك ونصيحتته ... وإياك
أن تمود !

وكنا نتبادل الرأي كثيراً ونختلف كثيراً ولا نستغرب
هذا الخلاف ولا نكف من تبادل الآراء ؛ لأن الخلاف بين كل
أنتي وفيه لطبعها وكل رجل وفيه لظنه أمر من البداهة بكان .
فهي تنظر بين حواء إلى حقائق الدنيا وهو ينظر بين آدم ،
وكلامها غمض في خلافه ومستفيد

على أنها كانت ترى في اللغة للعربية واللجة العامية مثل
ما أراءه ، وكانت على تربيتها الأوربية وإحاطتها بخمس لغات أجنبية
تنار على عربيتها فيرة البداوة ، فلا تجاري الدين يميلون إلى مجاعة
الفصحى وتبديل المهجئة والكتابة وتذهب في هذا مذهباً قريباً
من مذهب المحافظين للتشدين

واسمها « هي » اختصار لاسم « ماري » باختيار أول حروفه
للمم وآخرها الياء ، ولكنها أحببت الاسم لمرئيتها لا لاختصاره ،

١١ - أو من بالإنسان

الأستاذ عبد المنعم خلاف

آلهة وحيوانات - عمل الطبيعة في تكوين الإنسان الواحد
- أزهرت الأشجار وأدركت الثمار - مدينة خالدة ذات
سلطان مجيب شامل - جتنا لنحيا لا نموت - الحياة بالفتك
في الجاهل والشامل - مقبرة المادة وهنيرة الروح -
الذكاء البطر الجسود - إلى أحضان الأمم الكبرى

إذا جردنا الإنسان مما أسبغته عليه الحياة المدنية من أغانيتها
وأنواعها وأشكالها ظهر لنا أن البون بسيد جداً بين الإنسان
الذي أخرجته الطبيعة : وهذا الإنسان الذي غيرته الصناعة
وتعميد الفكر . وظهر لنا أن حياته الصناعية عالم مستقل منفصل
خالقه هو . ولكنه عالم غير خالق ولا متوالد إلا بإطراد تقديم
الإنسان . بخلاف مخلوقات الله في الطبيعة فإنها أبدية دائمة تتمر
بها الطبيعة .

وكما فكرت في الفرق العظيم بين حياة رجل على القفزة
وبين حياة رجل ألماني أو إنجليزي أو أمريكي وعقدت موازنة
بينهما في المأكل والملبس والملهي والركب والعمل والإنتاج
والفكر والإحاطة بآفاق الدنيا والتسلط على الطبيعة ظهر لي أن
الأول يكاد يكون في صفوف نوع آخر غير الإنسان ، وأن الثاني
ينقصه الروح والعدل ليكون الإنسان المنتشود البار بوصايا الله ؛
لأنه هو الذي أحسن الأخذ عنه وخلفه في الماديات خلافة واسعة
ونمت على يده الحياة وتنوعت وتشقت مجاريها وتوسعت . . .
ولا يجوز عقلاً أو شرعاً أن يطلى الأول الحياة وهزتها ،
وأن يتسلط على الثاني ما دام كل منهما على حاله . كما لا يجوز
لحيوان أن يسخر إنساناً .

وكما استعرضت معارف الإنسان للذني المدونة في كتبه
وسمحه وألواحه وأرضه وآثاره أدركت مبلغ ما حمله من أمانات
الحياة . وأسرار الدنيا ذات لتصمت والعمل .

ولا شك أن الإنسان للمادى الذي يقرأ صحيفة يومية يحمل
ذهنه من قضايا العالم وأخباره في الصباح والمساء ما لم يكن في
حسبان أحد من السابقين ووجدانه . . .

ولا شك كذلك أن هذا كله قد ترك أثره الواسع الشامل في
تكوين الدهن الإنساني الحالي وتكليف أعصابه وإحساسه بالحياة ،

غير ما كان عليه الناس في زمن المواصلات والتثقافات المحدودة .
إن الأقدار تصنع عقل الإنسان الحديث وقلبه صناعة تشترك
فيها كل معارف الحياة المصرية

ومن الأعمال العظيمة التي تقوم بها الطبيعة الآن عملها
في تكوين الإنسان الواحد الخاضع لمؤثرات واحدة . ونحن الذين
يقع علينا تأثير أعمالها العظيمة ونعيش في فيبوية عن خطواتها بنا
لا يدرك منا هذا التأثير إلا الراسدون المسجلون الذين يحملهم
الأقدار مخصصين لرصد خطوات الحياة وتسجيل ظواهرها .
وهؤلاء يكادون يكونون ناديين عن جبال الشبكة التي تلف غيرهم
من أبناء الحياة .

لقد تركزت المعلومات فصارت للقارات كالقوى . . . وملايين
الجنود كأصابع اليد . . . والديابات كالنمال . . . والطاقرات
كالمصافير . . . وأخبار العالم الإنساني كله كأخبار الحى
الواحد . . .

وهكذا تتركز الحياة وتتلخص في فكر الإنسان وتخترق
سورها العظيمة في أرقام وحروف . . .

هذا للمصر جدير أن يسمى « عصر الفوران والفلينان »
- على سبيل التشبيه بسطح ماء في وعاء على نار - فقد لبثت
سطح الحياة ساكناً في عصورها للساقفة لا يتحرك إلا حركات
موضعية . كما يلبث سطح الماء أول ما يوقد عليه في النار . حتى
إذا ما وصلت حرارته إلى درجة للفلينان هدر وقار واشتد وقذف
وتبخر وتحول . . .

إن عوامل الحرارة كانت تحتته من قديم ، ولكنها لم تصل
معه إلى درجة الانضاج والحركة السريعة والتحويل إلا أخيراً .
وكذلك عصر الانسانية الحالي هو عصر ظهور كوامن أسرارها
وأسرار الطبيعة ظهوراً شديداً متلاحقاً .

وقد انكشفت حيوات جميع الناس للناس ؛ فملوا أنواعهم
ولفاتهم وأديانهم ومذاهبهم في الحياة

وقد كانوا ضائعين ممنورين تائبين كأسرة مفرقة فرقتها
حادث . . . ثم جمعتهم الظروف مرة ثانية . . .

إنى أنجيل صورة الدنيا في عقول ساكنيها الأولين ،
وصورتها الآن في عقول بنينا المثقفين ، فيصيحى دهش مشوب

بفرح وبهجة وشكر لله على تسديده الإنسان إلى غابة ابتدأت
تنكشف وجوهها

للناس لا يستطيعون منها فراراً بعد ما دخلت عليهم أقطارهم
قسراً واقتداراً

هي قدر لازم لا فكك منه كأنها للريح والأمطار والأشعة
ومما يؤكد أنها خاتمة مؤبدة انتشارها في كل مكان وليست
كالدنيات الصالحة الموضعية ذات المصيبة القومية . لأنها قامت
على العلم التي لا تتناقض حقائقه بتمدد الأماكن والأجناس ،
بل تتلام وتوافق بتوافق قوانين الطبيعة الواحدة

وكانت الدنيات السابقة مجارب وجذوراً متمسبة لجذع
عظيم هو هذه المدنية الحالية

ولم يحدث في الماضي أن سهبت مدنية للناس جميعاً كما فعلت
هذه المدنية ، فخص لها للوحد والوئى والمحد واللؤمن والوئجي
والإسكيمي والشرق والغربي
ولم يحدث أن وجدت ميادين كثيرة مشتركة بين الناس
جميعاً كما وجدت ميادين النشاط العلمى والآلى والصناعى والسياسى
والأدبى فى رحاب هذه المدنية .

ولم يحدث أن اشتبكت مصالح الناس جميعاً كما اشتبكت الآن
بفعل السرعة وسهولة الانتقال وتبادل المنافع ونسب الاحتياجات
ولم يحدث أن درست ثقافة واحدة فى مدارس الأمم جميعها
كما درست هذه الثقافة المصرية .

فأى مكان نجما من سلطان مدنية الزمان ؟
أى طريق لم نجس خلاله السيارة ؟ وأى جو لم تخفق فيه
الطيارة ؟ وأى بلد لم يفتضح بنور الكهرباء ؟

إن هذه المدنية تحيط بالإنسان فى كل أفق من أفق حياته .
وإن استعرض الآن كل ما يحيط بى وأنا أكتب فأجد جميع
ما تقع عليه عيني قد اشتركت فيه آلاف العمليات الإنسانية
المقننة . وقد صار إحساسى بها كاحساسى بضرورات حياتى .
وأكاد لا أرى شيئاً خالصاً من يد الطبيعة وحدها إلا جسمى ...
وحتى هو لم يعلم من هندسة الخلاق و « رتوشه » !

ويمكنك أن تجرد الأرض مما فعله الإنسان فيها وما عقده
وركبه ، لتدرك مدى الحياة الأرضية من غيره ومدى العالم الذى
أحده هو ... وإذا ألقيت نظرة على شارع فى نيويورك أو لندن
أو القاهرة فإنه يروعك أن ترى ما فى مخازنه ومناظره وآثار
الأيدي التي عملت فيه ، حتى لا تستطيع بمض الأذهان
أن تتخيل الدنيا خالية منه من طول الألفه وطول النقلة

وكان الأنبياء والحكماء للتقدم وحدهم هم المدركين وجهات
الحياة . وكانوا فى الناس ما يكون البصير بين عميان ، والأب
الكبير بين صبيان ، والراعى بين قطمان . وكان قليل من الناس
هم الذين يدركون ما يشيرون إليه . ولكن الآن صار العلم والدين
والإدراك للضحيج شيئاً مشاعاً كالهواء والماء ، تقاربت فيه
المتقدمات والآراء

أجل ، هذا زمن حصاد جهود الإنسانية ؛ فقد أزهرت
الأزهار وأدركت الثمار ، وظهر الحقل مستوى السوق مستنظ
الأعواد ، قد أينعت فيه أغلب الأسرار وحان قطفها ! !

أنظر فى بقاع الأرض جميعها تجد إنسانية تفتح عيونها
وتستيقظ من غفلاتها لتدرك الحياة الحديثة وتشارك فيها وتلاق
مع غيرها فى خدمتها . وقد زال الانهزام والتموض اللذان كانت
تصهما عقول الإنسانية للتديعة والتوسطه فى ظواهر الحياة .
وسار الإنسان معتمداً على نفسه وحسابها الدقيق وأخذها بأساليب
الطبيعة فى الإنتاج والاختراع ، وترك الاعتماد على الأمانى ،
فضاقت دائرة الاعتماد على الأقدار ...

ولتلفت إلى الماضى كثيراً لتدرك مدى ما كسبناه وحصلناه
من محمولات الحياة كإنسانية واحدة وضع كل شعب وكل
حضارة لبنة فى بنائها ، حتى خرجت هذه الحضارة العالمية المشتركة
التي اقتضت كل قطر وكل مدينة فى الأرض ، وصارت كقنذ
الله الذى لا سرده ولا مفر منه

إنها حضارة باقية خالصة لن تبيد ولن تفتنى ولن ترتد ! إذ أن
بنورها ألقيت فى كل مكان ونبقت فيه . فلئن ذهبت أوروبا إلى
الغرب والسمار لحوف تبتقى أمريكا ... ولئن ذهبتنا معاً لحوف
يحمل للشمل أم للشرق وتلك الأمم المتتورة فى أرض الله
وجزر المحيطات وغيرهم ممن اتقنوا بأن هذه المدنية هى نبوة
الطبيعة ذات للمجزات الباعثة التي لا مفر من الإيمان بها والعمل
لها وأن هذا العصر هو أوان حصاد الللال وجنى القطف التي
زرعها وتمهدا الأقدمون ، وزادت كل أمة فى ميراثها حتى
صار فيها من كل قطر وردة ومن كل أمة مدد ورفند

إن هذه مدنية فرضت نفسها فرضاً على الناس جميعاً . فرضت
آلامها وشرورها كما فرضت إسماعدا وخيراتنا وعلومها ، وصار

عن التفكير في مبادئ الحياة . . .

طوفوا في شوارعكم أيها الناس بقلب ذاكر للطبيعة مدرك لمبادئها لتعرفوا مقدار ما يمتلك وبينها ومقدار قوتكم الابتداعية فتختلفوا لأنفسكم متعجبين عترمين محافظين عليها وعلى قواها الفكرية والانتاجية من الضياع والذهول والنفقات ! إن أفراس الحياة تنمر قلبي حين أطوف بجسدي في الشوارع المنظمة ، أو حين تطوف بي الحياة في دور السينما ، فأرى عجائب ما استحدثه الإنسان في عوالم المواد والماني ...

ولست أزهد في رؤية الحياة المادية وتقصى دقائقها ، لأن كل دقيقة منها ترسل في قلبي دقيقة من التعجب والإيمان ... ما جئنا للحياة لنموت ونستحضر فلسفة الموت من أول يوم ، والقبر ليس نهاية ، وإنما هو بداية مرحلة تالية ... فلي الذين يحملون القبور نصب أعينهم فيموتوا من أجلها كل عظيم ولو كان الصحة أو العلم أو التفاؤل ، أن يملوا أنهم جاءوا ليعيوا ويحسوا الحياة عميقة فيما خلق الله من شيء ، وينشغوا به انتفاع الحلال والعقل والحفظ ...

ومن الكفر أن تترك الأجسام فريسة للجرائم الفاتكة والآفات وعوامل الشؤم انتظارا للموت الأكبر .. فيدب فيها منذ ولادتنا .. كذلك يجب أن يكون إيمان الرجل المتمدن ... إيمان البصير الواثق بأن عمل النفس البشرية في المادة باب الإيمان لا الكفر كما يتوهم الأغبياء البلهاء الأغرار ! إن لا أعيش في نفسي وحدها ، ولكني أعيش في نفوس بني الدنيا جميعاً ، لأرى الحياة بعيونهم من آفاقهم ، حتى أخرج وسمي كثير من أسرار الحياة في القلوب والعقول ...

وأنصح لأصحاب الإيمان التقليدي أن يستحدثوا في قلوبهم ونظراتهم ما استحدثت ، ليمروا أي لغة وأي إيمان مضاعف ينمر قلوبهم ...

وأنصح لأصحاب النظرة المادية والذهول عن الماني ، أن يستحضروا أرواحهم وراء كل نظرة وكل عمل وكل علم ... فإن هذا هو الوضع الحقيقي لحياة الفكر والاستعمال الحق للروح وقوى الجسم ...

ونتمش بأفكارنا وأرواحنا دائماً ، سواء أ كنا في غايات خط الاستواء ، حيث الطبيعة بكر غير مفضوضة لم يطمئنا إنس

ولا جان ... أم في مصانع « فورد » بنيويورك ، حيث يدور الفكر مع الحديد في خفة وتعتيد وقدرة !

الغريبون قدموا لنا عبقرية المادة ، فلنقدم لهم عبقرية الروح ... فلنخدم أرواحهم كما خدموا أجسامنا ... !

إنهم استغنوا بذكائهم عما وراء الطبيعة ، وقد كفاهم ذكائهم تدير أمورهم كلها فيما يخول إليهم مع أن الواقع أنهم في شبكة الأقدار العليا والتقدير الشامل لحياة الأرض . والرجل الذكي غني بالحيل ونجدد الأفكار . والنسي بيث دائماً على العنيان . ومن هنا أتى الغريبون ودخلت عليهم نكهات الحياة لأنهم اعتمدوا على غنى ذكائهم وحده

وحين يستغنى الطفل بذكائه وقدرته عن ندى أمه ووراثتها ، ويعلو مستواه البدني والعقلي عن مستواها ، فذلك عهد ابتداء عقوقه لإها إذا لم يكن ذا ذخيرة مرفورة من الإدراك والحب والرحمة والأدب ، وما دام ينسى أنه قطعة قنت من جسمها وقلبها ، وأنها الوشيعة الوثيقة بينه وبين أرومة الحياة والطبيعة وكذلك ينسى الإنسان الذكي همزه أمام قهر صاحب الطبيعة ويستغنى بذكائه عن الاستمداد منه والاستيعاء منها فيصير مخلوقاً يكاد يكون لا صلة بينه وبين ما في الطبيعة من موجودات تسير طائفة بالإلهام والتوجيه

فهل تترك الغريبين يذهبون بأرواحنا وأرواحهم في أودية بعيدة عن الرحمة والعدالة والأشواق إلى المجهول والبحث عن الله ذي الجلال ؟!

أتركها وتركهم للحديد البليد القاسي يطبها بطابعه ، ويوحى إليها بياسه سياسة البطش والظن ، ويشغلها بضجته المنكرة عن همسات القلوب وأصوات الضائر ؟

إننا إن تركناهم وتبناهم على الخير والشر فسوف تكون فرانسهم وجزر سيوفهم وطعن طواحينهم الحديدية الجراء ! فلندكرهم بمبادئ الطبيعة أمنا وأسمهم ، تلك المبادئ التي فيها من منطق الوجدان أكثر مما فيها من الذكاء الجامع وقوة الاختيار من غير ضابط من هدى الطبيعة

وإن الطبيعة لتذكر أبناءها دائماً بوصايا الحق والمعدل كما تذكر الأم البسيطة أبناءها الأذكاء بوصاياها وحوافئها التي

مقاصد وأغراض ، على نحو ما صنعت في السنة الماضية ، وعلى نحو ما ساصنع في السنة الحاضرة ، في درس الكتب المقررة للمسابقة بين أولئك الطلاب

ولو أنني وجدت من ينوب عني في الكلام عن كتابي ، لأعفت نفسي من هذا الواجب للزعج ، فلم يبق إلا أن أتكم من كتابي كما أتكم عن كتب الناس ... وهل في الدنيا شريعة تفرض على أن أنصف للناس وأظلم نفسي !

وليكن مفهومياً أني سأنظر إلى كتابي بعين الحب ، تخفي وحسبه ما عانينا من الظلم والاضطهاد . ألم يرفض جماعة من علماء المراق مصاحفتي بحجة أني آذيت الغزالي ؟ ألم يقبل جماعة من علماء مصر بأنني وجهت أنوال الغزالي إلى غير ما كان يريد ! ألم يقترح الأستاذ جاد المولى بك أن يُنص في عصر الامتحان على أن اللجنة غير مسئولة عما في الكتاب من آراء ، وإنما مُنح مؤلفه إجازة الدكتوراه جزاء ما بذل من الاجتهاد في استنباط تلك الآراء ؟

لن أذكر كتابي بشير الجليل ، وإن كنت أعلم الناس بما فيه من عيوب هي في نظري من غرائب الجبال . وهل يطاب عليه غير أقباس من الحيوية لا يتجو منها شابٌ كالقلى كنت في سنة ١٩٢٤ ؟

رُدوني إلى ما كنت عليه من شراسة وُحْن في ذلك العهد ، وخذوا ما أملك من ثروة وصيت ، فيوم واحد من شبابي أطيب وأنضر من جميع أطايب الوجود

الكتاب والمؤلف :

يقع هذا الكتاب في أكثر من أربعمائة صفحة بالقطع للتوسط ، وثمته خمرة عشر قرشاً ، أما للنسخة المجلدة خباع بشرين ، فأرجو المكتبة التجارية أن تراعى هذا السعر ، فلا ترهق للتلاميذ ، لأن أكثرهم أقرمى

وقد قدّم هذا الكتاب لنيل الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٤ ، وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من حضرات الأساتذة الأكارب : منصور فهمي ، وأحمد ضيف ، ومحمد جاد النولي ، وعبد الوهاب اللبحار ، وأحمد عبده خير الدين ؛ وقد انتقل للبحار وخير الدين إلى جوار الله ، فإلى روحيهما في دار الخلود أقدم أصدق التحية وأطيب التثناء

مصابقة الورد العربي لطلبة السنة التوجيهية

« الأخلاق عند الغزالي »

للدكتور زكي مبارك

تمويد — الكتاب والمؤلف — اليوم للشهود — انتقال القلب من مكان إلى مكان — الروح السائد في الكتاب — العناصر الرئيسية — الفكر والايان — كلمة تنفع شبان الجيل الجديد ...

تمهيد :

أنا أشعر بأن مقال اليوم لن يخلو من ضعف ، لأنني أكتبه وأنا أكاره ، والإجادة لا تاح إلا لمن يكتب بشغف وشوق ، وإنما أقبل كارهاً على مقال اليوم لأنه متصل بأحد مؤلفاتي ، وأنا لا أحسن وصف هذه المؤلفات إلا في المواقف التي تعدّ للنفس بموجبات الزهو والتخلياء ، ولا شيء من ذلك في هذا الوقت ، لأن فورة الهجوم على كتاب « الأخلاق عند الغزالي » قد خمدت منذ أعوام ، بعد أن شغلت للناس وشغلوني بأبحاث بعيدة عن موضوع هذا الكتاب

ولكن ، ما الذي يدعو إلى هذا اللقال وحالي كما وصفت ؟ يدعو إليه أن الكتاب مقرر لمسابقة الأدب العربي ، ولا بد من معاونة طلبة السنة للتوجيهية على إدراك بعض ما فيه من

بنت عليها عشما . فهما اختلفت أفكار الناس وأخلاقهم فإتهم يتوحدون حين يقفون بين يدي الطبيعة ويشعرون بشعور واحد فيه صدق الفطرة واعتناها

ومبادئ الأمانة وجوها وبساطتها وعدم تكلفها ، والحنين إليها والشوق إلى مهادها يجب ألا تنسى ؛ لكي يعيش الإنسان باراً بريئاً عامس القلب بالمواطف الشريفة ذات التأثير الكريم في خدمة الحياة !

وكما يوصف الرجل القوي بهجر أمه بالمقوق والقرم هما كانت هي بسيطة جاهلة ، وسهما كان هو قائل للعقل واسع العلم عريض الجاه ، كذلك يوصف الرجل بالمقوق حين بهجر أحضان الأم الكبرى الطليمة ، أو حين يؤذي أو يهمل إخوة منها ! هجر المنعم محمد طهوف

ظه هزمني قبل ذلك في امتحانات الليسانس مرتين ا
ثم كانت النتيجة أن يفوز للطلاب بعد امتحان دام نحو
ثلاث ساعات فيصير دكتوراً في الآداب بدرجة « جيد جداً »
من الجامعة المصرية .

انتقال القلب من مطان إلى مطان

ورأى الأستاذ خليل بك ثابت أن يرسل مندوباً يشهد
الامتحان ويحدث قراء المقطم عما وقع فيه من جدال وصيال ،
وقد وقع اختياره على المرحوم حسن حسين ، وكان أديباً له
بدوات ، فلخص معركة الامتحان بأسلوب صورني فيه بصورة
للتأثر على التقاليد الدينية ، فانبرى لمجادتي على سفحات المقطم
عالمان جليلان ، أحدهما الشيخ أحمد مكي ، طيب الله ثراه ،
وثانيهما أستاذي في أكثر ما تلقيت من العلوم الدينية وهو الشيخ
يوسف الدجوي ، ولم أستطع الرد على هذين الأستاذين الجليلين
— وكان يشرفني أن أجاريهما في ميدان الفضال — لأنني حلت
من إدارة الجامعة عن طريق الأستاذ سامي راغب أن مساعد
للمكترير العام بوزارة المعارف وهو الأستاذ محمود فهمي النفراني
طلب من الأستاذين جاد المولى وخير الدين أن يقدموا تقريراً عن
امتحان زكي مبارك في الدكتوراه ، ولأن الدكتور طه
والدكتور منصور نصحاني بالمكوث عما أثار امتحاني من
جدال ، وهي نصيحة سجلها الدكتور طه في جريدة السياسة

وهو يتقد كتاب « مدامع العشاق » في أوائل سنة ١٩٢٥

وأقول إن قلبي انتقل من مكان إلى مكان بسبب هجوم
للشيخ أحمد مكي وللشيخ يوسف الدجوي ، فا كنت أنتظر
من هذين الأستاذين أن يثيرا بحجاجة يحتاج بها الجمهور ، وتلفتت
إليها وزارة المعارف

ولم يصح عندي أن هجوم للشيخ مكي وللشيخ الدجوي
يستند إلى الحق ، فأسررتها في نفسي ، وقلت إن رجال الدين
لن يكونوا دائماً ملتزمين ، وذلك هو السبب في أني أجزيهم
ظلماً بتظلم وإجحافاً بإجحاف ، من حين إلى حين

ولكن لا بأس ، فقد استطاع كتاب « الأخلاق عند النزالي
أن يقاوم هجمات الناقدين عدداً من الممنين إلى أن تعرض له ناقد
لا يرحم المؤلف ، وإن كان يحمل اسم المؤلف ، ففي اليوم الرابع من

واسم المؤلف محمد زكي عبد السلام مبارك ، وكان فيما سمعت
شاكياً يحاول الوصول إلى الحق ، وطريق الحق كثير الأشواك
والعقبات : فلم يصل إلا بعد أن أدى قدميه ، إن صح أن الله
أراد أن يكون من الواصلين

ويظهر أن المؤلف كان يعاني نورة روحية وعقلية عند تأليف
هذا الكتاب ، وهو نفسه حدثني أنه صاحب النزالي في مؤلفاته
نحو خمس سنين ، فأسرته للنزالي على نحو ما يصنع بمن يواجهون
نوره الوهاج ، ورأى المؤلف أن تأليف كتاب في « الأخلاق
عند النزالي » لا يقيس إلا بعد للنجاة من أسر للنزالي ، لجمع
قواه وكسر ياب الأسر ، ليتنفس أرواح الحرية الفكرية ، وليلقى
النزالي لقاء للتد للتد ، إن كان للنزالي أندا

وفي مدى ثلاث سنين استطاع ذلك الشاب أن يكتب
رسالة للدكتوراه في الفلسفة عن « الأخلاق عند النزالي » ،
وهي رسالة شرقت وغرقت ، بحق أو بغير حق ، واهتم بها
الدكتور سنوك هوجرنيه ، فنشر في الثناء عليها بحثاً باللغة
المولندية كان طليمة للتبويه بالمؤلف في بيئات المستشرقين

اليوم المشهور

هو اليوم الذي نوقش فيه المؤلف بجملة علنية في الجامعة
المصرية ، فقد كان بين الحاضرين جماعة من أساتذة الأزهر
للشريف ، على رأسهم الأستاذ الجليل عبد الحميد البان شيخنا
وشيخ أشياخنا وصاحب الفضل على كثير من العلماء ، وقد طاب
للشيخ البان في ذلك اليوم أن يمترض من وقت إلى وقت
بأسلوب يهجر الممتحن ويهجر لجنة الامتحان ، واقفي أثره
المرحوم للشيخ محمد الإياري فاعترض بمبارات حلت الدكتور
منصور فهمي على أن يعلن أن الجمهور لا يصح له التدخل في شؤون
هي من حق لجنة الامتحان

وانتقلت الثورة من الجمهور إلى أساتذة الجامعة من غير
لجنة الامتحان ، فتقدم معالي الأستاذ حلمي باشا عيسى وأسر
في أذن الدكتور منصور فهمي أن الدكتور طه حسين يريد
أن يوجه ثلاثة أسئلة إلى زكي مبارك ، فأعلن الدكتور منصور
أن لأساتذة الجامعة وخدم أن يتدخلوا في الامتحان ، وهو لذلك
يسعى للكلمة للدكتور طه حسين ... والله الحفيظ ا
وكانت معركة لم أتصر فيها إلا بأهجومية ، فقد كان الدكتور

« الظاهر أن حضرات العلماء فهموا من الفتح التخریب والاعتداء على الشعوب . كلا ، يا هؤلاء الدين الإسلامي دين فتح ، رضيتم أم كرهتم ، ولفتح آداب وشروط منها الدين الحنيف ، وأنتم حين تنفرون من كلمة «الفتح» إنما تجارون الأجانب الذين يتوددون إليكم بوصف الإسلام بالقناعة والرضا بالقليل ، وهذا خطأ صراح ، فالدين الإسلامي أبدا الأديان عن الزهادة وأبغضها للخصم ، ولا حرج على الإسلام في أن يرغب أتباعه في امتلاك ناصية العالم ، فإن هذا أمل نبيل ، ولم يحدثنا للتاريخ عن أمة قوية أو ملة قوية وضعت حداً لمطامعها في الحياة ، وإنما ترغم الأم للضيعة أو الملل للضيعة على أن تحدد آمالها وأطماعها بضيق الحدود» (١)

وهذه الفقرة توضح بعض اتجاهات المؤلف في تفسير الأغراض للصحيحة للدين الإسلامي وأنكر المؤلف على النزالي أن يتعلق بأهداب الآداب السلبيه التي دعا إليها الإنجيل ، وفي ذلك يقول :

« إن الآداب التي وضعها الإنجيل غير طبيعية ، على معنى أنه لا يمكن أن يسكن إليها بطبيعتها أحد من الناس ، فالحكمة الإنجيلية التي تقول : (من ضربك على خدك الأيمن فأدير له خدك الأيسر) حكمة غير معقولة لا يقرها محرف ولا يدعو إليها قانون ... والحكمة المسيحية التي تقول : (من سخرك ميلاً قامش معه ميلين) حكمة غير ممكنة للقبول ، ومن المستحيل أن نجد مسيحيًا يدير لك خدك الأيسر حين تضربه على خده الأيمن ، أما المسيحي الذي يتبملك ميلين حين تسخره ميلاً فهو نادر الوجود» (٢)

ثم يقول المؤلف بعد كلام مفصل في نقد الأخلاق المسيحية : « أليس من الغريب أن يصدق النزالي أن عيسى يقول : (من أخذ رداك فأعطه لإزارك) ومن الذي يرضى من المسلمين أو النصراني أن يتأدب بهذا الأدب الغريب ؟ »

وينفي المؤلف عن نفسه تهمة التعامل على المسيح فيقول : « ونحن بهذه الكلمات لا نتكبر نبوة عيسى عليه السلام ، وإنما نرجح أن أتباعه جئوا على شريسته بما زوروا باسمه من الأحاديث ، وهذه جنافية كثيرة الأمثال في تواريخ الشرائع ، فإن الإسلام مع تواتر سنده الأول وهو للقرآن لم يعلم من

أربط سنة ١٩٣٧ وقف طالب يؤدي امتحان الدكتوراه في جلسة علمية بالجامعة المصرية . وكان أكبر همه أن يفض آراء الطالب الذي وقف هذه الوقفة في الخامس عشر من مايو سنة ١٩٢٤ فإذا صنع ؟ أثبت في كتاب «التصوف الإسلامي» أنه ظلم النزالي في كتاب «الأخلاق عند النزالي» والحكم على النفس من مظاهر القدرة على منالبة الأهواء

روح الكتاب

وقد حاولت سرات كثيرة أن أرجع إلى هذا الكتاب بالتفسير والتبديل لأقدمه بصورة جديدة إلى عشاق الدراسات الأخلاقية ، ولكنه يأسرنى . كما نظرت فيه ، لأنني أفتنه في أوقات كنت فيها تأثر القلب والعقل على فهم التقدم للأخلاق ، وهي ثورة لم آج من شرها إلى اليوم ، وقد أسارها وتسايرني إلى آخر أيامي . وكيف يبدأ من يروعه أن يرى في رجال الدين من يعرفون خريطة الحياة الآخرة ويجهلون خريطة الحياة الدنيوية ؟ إن كتاب «الأخلاق عند النزالي» لم يكن إلا دعوة سريعة إلى التشكيك في أصول الأخلاق الأوروبية عن التقدم ، والمؤلف يقسم الفضائل إلى قسمين : فضائل سلبية وفضائل إيجابية ، ثم يقرر أن النزالي وجه أكثر اهتمامه إلى الفضائل السلبية « ولم يُمن بشرح الفضائل الإيجابية كالشجاعة والإقدام والحرص وما إلى ذلك مما يحمل المرء على حفظ ما يملك ، والمضى لنيل ما لا يجد ، فإنه لا يكفي أن يعلم الرجل من الآفات النفسية ، بل يجب أن يزود بكل مقومات الحياة . وخير للمرء أن يرمم بذائل القوة من أن يتعلل بفضائل الضعف ، فإن للضعف شرًا كله ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون» (١)

وقد طالب المؤلف على رجال الدين أن ينسحبوا من الميدان السياسي في الأوقات التي يفرض فيها الجهاد ، فطوق للنزالي بطوق من حديد حين سجل عليه أنه لم يؤد واجبه في التعرض على مقاومة الحملات الصليبية ، مع أنه «حجة الإسلام» ومع أن سوته كان مسموحاً في أكثر الأقطار الإسلامية

وأثبت المؤلف في لواحق الكتاب مقالاً نشره في المقطم بتاريخ ٤ يونية سنة ١٩٣٤ أبد فيه القول بأن الدين الإسلامي دين فتح وامتلاك ، وهو مقال كتبه في الرد على من فؤوسه من العلماء وفيه يقول :

(١) الأخلاق عند النزالي ص ٤٢١

(٢) أنظر ص ١٠

(١) الأخلاق عند النزالي ص ١٨٥

أصحاب اللغة وأصحاب الأغراض من زوروا الأحاديث باسم النبي حتى كادوا يقتضون على ما للإسلام من قوة الحق وروعة الجلال... ونحن كذلك لا ننكر أن المسيحية تدعو إلى الزهد، ولكننا نرجح أنها كانت تدعو إلى الزهد بقدر ما تقل من رحمة الناس وتقلل من جشعهم وطمعهم، أما الدعوة إلى الفرار من طبيبات ما أحل الله فهي دعوة بيضة الوقوع من الأنبياء والمرسلين^(١)

هذا الروح السائد في كتاب «الأخلاق عند النزالي» هو الذي يطفئ عليه، ويصرفني عن التمرس له بالحذف والإيصال، مع أنني رجعت عن بعض الآراء المدونة فيه حين ألقت كتاب «التصوف الإسلامي»، وبين الكتابين أعوام تنقل فيها على من أفق إلى آفاق

والمهم هو أن ينظر طلبة السنة التوجيهية إلى المضلات المبهوتة في هذا الكتاب بالعين التي نظر بها المؤلف، ولم أن يثوروا على المؤلف كما ثار على نفسه في كتاب «التصوف الإسلامي» إن اتسع وقتهم للبحث والاستقصاء

وأأم من هنا أن يمتحنوا ما في هذين الكتابين من آراء فلسفية، ليُشعروا لجنة الامتحان بأنهم انتقلوا من الدرس والاستيعاب إلى النقد والتحقق، وليس هنا بكثير على شبان هم بإذن الله طلائع الجيل الجديد

العناصر الرئيسية

في كتاب «الأخلاق عند النزالي» أربعة عشر باباً، وفي كل باب عدة فصول، ومن مواد هذا الكتاب تتضح ألوان كثيرة من التفكير الفلسفي عند العقول الإسلامية، وتظهر عبقرية النزالي في نضارة وإشراق

وأسلوب الكتاب يظلم عليه الحذر والتهيب، وقد يسئل إلى الرز والإيماء، لأن المؤلف كان يعاني رقابة عنيفة، هي رقابة اللجنة المكلفة بالنظر في صلاحيته لامتحان الدكتوراه، وإن كان من واجب المؤلف نحو نفسه أن يعلن أن تلك اللجنة لم تحذف منه غير فقرتين اثنتين، ولم تُشر بنير زيادة كلمات ممدودة تحدد المراد من بعض الأغراض

وكان شاع منذ أعوام أن كتاب «الأخلاق عند النزالي»

من تأليف الدكتور منصور فهمي، وهي إشاعة نشرتها وترفع من قدرى، فأنا تلميذ هذا للفكر الجليل، ولو قضيت العمر في الثناء عليه لما وقفته بمض حقه في تطليبي وتثقيبي؛ ولكن كتاب «الأخلاق عند النزالي» كتابي لا كتابه، بشهادة ما فيه من غطرسة واستملاء، وأستاذنا الدكتور منصور آية في التواضع المقبول

وكان يجب أن أخلص ما في الكتاب من أبواب وفصول ليسهل درسه على للتسابقين، ولكنني نظرت فرأيت في غاية من الوضوح والجللاء، فلم يبق إلا أن أنص على ما يجب درسه بناية والتفات:

في الباب الأول فصول تصور عصر النزالي بإيجاز وتصف المدائن التي عرفها النزالي، وسؤال الطلبة عن محتويات هذا الباب

وفي الباب الثاني فصول عن أسرة النزالي ومولده ونشأته وحياته الروحية، وبلغ فهمه للحياة، وسؤال الطلبة عما حصلوه من عناصر هذا الباب

والباب الثالث متعب، لأنه خاص بالنبايع التي استقى منها النزالي آراءه الفلسفية، ولا بد للطلبة من مذاكرة أساتفتهم في الامتداء إلى تلك النبايع

وفي الأبواب التالية يكون الكلام في صميم المبادئ الأخلاقية بنظرتين مختلفتين: نظرة النزالي ونظرة المؤلف، ومن واجب الطلبة أن يمتحنوا هاتين النظرتين بفهم وذوق، ليقعوا العليل على ما يملكون من أساسة الفكر ووجاحة العقل

فإذا كان الباب التاسع رأينا المؤلف يحاسب النزالي على آرائه في العلوم والفنون وفي التربية والتعليم، وهو باب سيحسأل الطلبة عما فيه من آراء، لأنه وثيق الصلة بالموازنة بين العقل للتقديم والعقل الجديد

وفي الباب العاشر يتكلم المؤلف عن الواجبات الفردية والاجتماعية، ويقع هذا الباب في أكثر من خمسين صفحة، ويكفي الطالب أن يدرس منه عشر صفحات، ليواجه لجنة الامتحان وهو على شيء من التحصيل

وفي الباب الحادي عشر يطول الكلام عن تأثير النزالي في عصره وما تلاه من المنصور، وللطالب أن يقرأ من هذا الباب

تلك اللجنة من رجال وزارة المعارف ورجال كلية الآداب ،
فأنهموم بلسان الحال ولسان المقال أنكم طلاب الجليل الجديد ،
وأنكم جديرون بما لهم فيكم من آمال
وبالنسبة عن اللجنة أوصيكم بدرس ما يطيب لكم من مواد
الكتب المقررة للامتحان الشفوي ، على شرط أن تعلموا اللجنة
بذلك ، وعلى شرط أن يكون لكم في التعقيب على المؤلفين آراء
تجملكم من أرباب الفكر الأصيل
ليس المهم أن تقرأوا الكتاب من الألف إلى الياء ، ولكن
المهم أن تدركوا سريرة المؤلف ، وأن تحاسبوه بزاوية وإخلاص
أنتم في السنة التوجيهية إلى كليات الجامعة المصرية فأنهموا
لجنة الامتحان أنكم انتقلتم من التحصيل إلى التفكير ، فالتفكير
هو الغرض المنشود
وسنتكم في الأسبوع المقبل عن « ابراهيم الكاتب » ؛
فالى اللقاء
زكى مبارك

ظهر مبرئاً

الكف وأسرار النفس

لهؤستاذ أحمدر السنوسى

إحصائى الحالات النفسية

يرشدك إلى الطريق الذى يجب أن تسلكها فى الحياة طبقاً
لاستعداداتك وبمملك تكشف عن نقط للضمف فىك لتعمل على
تقويتها أو لقتضاء عليها . يكشف لك عما يهدك من الأمراض
الجسدية والنفسانية لتتبع طرق الوقاية منها ، يوضح لك كيف
تخطم العقبات التى توتف نجاحك فى الحياة . وأخيراً تجد فيه
تأريه عما تنطق به خطوط أبدي : دولة اسماعيل صدق باشا .
الدكتور طه حسين بك . الأستاذ عباس محمود العقاد . السيدة
هدى هانم شعراوى . الدكتور عبد الله العربى بك . محمود
حميد بك . الأستاذ فريد أبوشادى بك . المطربة ملك . الفنانة
أمينة رزق - ويطلب من مكتبة الأنجلو ٣٣ ش قصر النيل ،
ومن المؤلف ٣٣ ش الملكة فريدة - ثمن للنسخة خمسين قرشاً
عدا أجرة البريد ٣ قروش داخل القطر و ٥ قروش خارج القطر

ما يشاء ، ولكن عليه أن يدرس الصفحتين ٣٦١ و ٣٦٢
وفى الباب الثانى عشر كلام عن أنصار النزالى وخصومه ،
وهو موضع اعتراض ، فقد قيل إن المؤلف أوجز فى الكلام
عن أنصار النزالى مع أنه تحدث عن خصومه بإطناب ، فليك
أن تمتد عن المؤلف بلفظ ١١
أما الباب الثالث عشر فهو فى الموازنة بين النزالى والفلاسفة
المحدثين ، وفيه فصل مهم جداً عن الموازنة بين النزالى وديكارت
ولن تعفبك لجنة الامتحان من هذا الفصل ، لأنه من عيون
الكتاب ، ولأن التأمل فيه قد يجذبك إلى الدراسات الفلسفية
وفى الباب الرابع عشر تجد (آراء علماء المصر فى النزالى)
من أمثال الأستاذة : منصور فهمى ، على عهد الرزاق ،
يوسف المدجوى ، محمد جاد المولى ، عبد العزيز جاويش ، الكونت
دى جالارزا ، على العناني ، عبد الوهاب النجار ، حسين والى ،
عبد الباقى سرور ، أحمد أمين
فإن استطعت أن تقرأ الكتاب كله قراءة الفهم أولاً ،
وقراءة النقد ثانياً ، فستظفر بالجائزة الأولى ، وسيصالحك وزير
المعارف مصافحة الود والإعجاب

الكفر والادب

فى الموازنة بين النزالى وكارليل تقع صحائف أراها من
النفائس ، وقد تكون أصدق ماجرى به قلبي ، وهى من صفحة
٣٨٩ إلى صفحة ٣٩٩ ، ولا أستطيع تلخيص تلك الصفحات
فى هذا المجال ، طلباً لتنجاة من الدخول فى ممارك نقضت من
فبارها يدي ، فقد راضنى الأيام بعد الجروح ، وانضمت كارهاً
إلى العصابة التى تقول بأن الرءاء سيد الأخلاق !
هذه الصفحات تنفك فى الامتحان ، لأنها تشهد بأنك
وسلت إلى الأسرار الطوية فى كتاب « الأخلاق عند النزالى »
وذلك هو الغرض المنشود ، ولكنها ستضرك وستؤذيك ، لأنها
ستفرض عليك أن تزن « المسئولية الأخلاقية » بميزان جديد
وأنت فى غنى من هذه التآب التغال !

كلمة تنفع شباب الجيل الجديد

قد يكون فيكم من يتوهم أن اللجنة التى تمسكون إليها
فى مسابقة الأدب العربى يسرها أن تراكم أبواباً تحكى ضلالات
المجتمع فى فهم الأدب والأخلاق ، هيئات ثم هيئات ، فستؤلف

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

- ٦ -

نقد الأصول

نهي عن شخصية المؤلف وتحرير زمانه ومطالع التدوين (*)

إذا ما ثبت لباحث أن الأصل أو المصدر التاريخي صحيح وغير ضريف فليس معنى ذلك أن المعلومات الواردة به ذات قيمة تاريخية كبيرة. ولا بد من نقد الأصل التاريخي من نواح أخرى. وبعض الأصول تحمل اسم مؤلفها وزمان ومكان تدوينها، والبعض الآخر الذي يكون عليه طابع الصحة وعدم التزييف يتقل بعض أو كل هذه النواحي، فينقص ذلك من قيمتها التاريخية. فكيف يقدر الباحث قيمة الأصل التاريخي وهو يجهل اسم المؤلف وشخصيته وعلاقته بالحوادث التي كتب عنها؟ هل شهدا بنفسه أم سمعها ونقلها عن الغير؟ ومتى دونها؟ هل دونها أثناء وقوع الحوادث أم بعدها بزمن طويل؟ وفي أي مكان تم ذلك التدوين؟ هل كان في مكان وقوع الحوادث أم في جهة بعيدة عنها؟ من الضروري جداً معرفة كل هذه النواحي بقدر المستطاع. فكيف السبيل إلى تحقيق كل ذلك؟

إن معرفة اسم وشخصية كاتب الأصل التاريخي مسألة هامة لأن قيمة المعلومات التاريخية التي يوردها ترتبط كل الارتباط بشخصية الكاتب وبعدي فهمه للحوادث وبكل الظروف التي تحيط به على وجه العموم. فالمعلومات التي يدونها الأمير أو الحاكم تختلف عن المعلومات التي يسطرها السياسي أو صاحب المهنة أو الجندي أو رجل الشعب. وكاتب الأصل التاريخي، سواء كان شاهد عيان أو اعتمد على غيره من شهود العيان، يعتبر الوسيلة التي يصل للثورخ عن طريقها إلى الوقائع التاريخية. فإذا

(*) يبر الأستاذ فلنج عن هذه الرحلة من النقد بكلمة Localization من ٦١، ولم أجد كلمة مربية واحدة تفيد هذا المعنى. فلعل بعض الممارنين عندنا يعاونه.

كان للكاتب شخصاً صادقاً عدلاً بعيداً عن الأهواء بقدر المستطاع كانت معلوماته صحيحة بصفة عامة، والعكس صحيح أيضاً. وعلى ذلك تتضح أهمية البحث لمعرفة أكبر قسط ممكن من المعلومات عن كاتب الأصل أو الوثيقة التاريخية. وفي هذه الناحية كغيرها من نواحي نقد الأصول التاريخية الأخرى، يصبح عمل المؤرخ شبيهاً بعمل القاضي، والقاضي يعاين بان شهود الحوادث أحياناً أمامه بالحق أو بالكذب بنطقه، ولكن المؤرخ عليه أن ينتقل من الحاضر إلى الماضي بالعقل والنقد والتحليل، وأحياناً تضح هبتاً جهود المؤرخ لمعرفة اسم وشخصية كاتب الأصل التاريخي فوظل بجهولاً، وأحياناً أخرى لا يمكن للثورخ إلا أن يجمع بعض المعلومات القليلة عنه. ونلاحظ أن وضع اسم شخص على أصل أو مصدر تاريخي لا يفيد دائماً أنه كاتبه كما فهمنا ذلك من عوامل الدس والانتحال. وإذا عثر الباحث على الأصل التاريخي المختلط أمكن في أحوال كثيرة التعرف على شخص الكاتب أو الاقتراب منه على الأقل، بدراسة الخط ونوع الورق والحبر واللغة والأسلوب والمصطلحات الخاصة بهمد تاريخي معين وبدراسة المعلومات التاريخية الواردة به

وإنه ليختلط الأمر أحياناً على الباحث في التاريخ فيخطئ في نسبة الأصل التاريخي إلى كاتبه الحقيقي. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الأب بواس قرالي أنه عند حضوره على باشا أمير البحر التركي إلى المياه السورية لنقض النزاع القائم بين نجر الدين أمير لبنان ويوسف سيفاً صاحب طرابلس في يوليو سنة ١٦١٩، أرسل الأمير نجر الدين رسالة إلى الباشا التركي يتندر فيها عن الحضور إليه بنفسه^(١). ويقول الأب قرالي أن الأستاذ اسكندر الملوف قد أورد ترجمة هذه الرسالة باللغة العربية في كتابه عن الأمير نجر الدين. والأستاذ الملوف يعتبر أن هذه الرسالة قد صدرت عن نجر الدين ولكنه يتشكك في تاريخ إصدارها ولا يمكنه أن يحدد ذلك^(٢) ويذكر الأستاذ الملوف أنه قد نقلها عن ريكو^(٣).

(١) Carali, P. : Fakhr ad Din II Principe del Libano e la Corte di Toscana (1605—1635). Roma, Roma, 1936. p. 99. (٢) عيسى اسكندر الملوف : تاريخ الأمير نجر الدين المعنى الثاني.

جونية، لبنان، ١٩٣٤. ص ٣٨٥.

(٣) Knolles & Rycant : The Turkish History from the Original of that Nation to the Growth of the Ottoman Empire. 3 vols. London, 1687. v. I. p. 693.

الأولى ، وكذلك يحدد أجزاء الأصل التي اعتمد الكاتب في تسجيلها على الغير ، وتعتبر أصلاً من الطبقة الثانية ، مع تحديد مصدر هذا النوع الأخير من المعلومات إذا أمكن ذلك . ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما ذكره (كاميل ديغولان) في بعض ما كتبه من المشادة التي حدثت بين مندوب الملك لويس السادس عشر وبين ميرابو أثناء اجتماع مجلس طبقات الأمة في ٢٣ يونيو سنة ١٧٨٩ . والباحث يعرف من التاريخ أن ذلك الاجتماع لم يكن حضوره مباحاً للجمهور ، وكاميل ديغولان لم يكن عضواً في مجلس طبقات الأمة ؛ وعلى ذلك فإن ديغولان لم يسمع بنفسه ما قاله ميرابو لمندوب الملك . فكلما عن هذه المشادة أخذه عن طريق السماع ، فيعتبر أصلاً من الطبقة الثانية . إننا وصف ديغولان لما شهده خارج مكان الاجتماع من قدوم الملك أو احتشاد الجماهير يعتبر أصلاً من الطبقة الأولى^(١)

وفي بعض الأحوال يجد الباحث كتاباً طبع في باريس في ١٨٩٠ مثلاً . ومن المحتمل أن يكون مؤلفه قد نقله بنفسه عن مؤلف سابق وضمه في ١٨٥٠ بدون أن يشير إلى ذلك . فالمسؤول عن المعلومات الواردة هو الكاتب الأول السابق . ومجيب أن السطو على كتابة الغير والنقل منها بغير حساب قد نقص الآن ، وعمنه القانون أحياناً ؛ ولكن كثيراً ما يجد الباحث أن من الأصول والوثائق ما هي إلا عبارة عن نقل حرفي لأصول ووثائق سابقة ، سواء قصد الناقل السرقة وانتحال للمعلومات لنفسه أو جمعها لأنها تهمه وتفيد^(٢) . فلي الباحث في التاريخ أن يتعقب الكاتب الأصل ؛ وإنه لمن أم المسائل في هذه الناحية من النقد معرفة المصادر أو الوثائق التي أخذ عنها ذلك الأصل التاريخي . ومن الأمثلة على ذلك أن الباحث قد يستر على مجموعة من الكتابات عن المصادمات البحرية بين السفين والتمسكان في القرنين السادس عشر والسابع عشر جمعاً أحد المهتمين بإبراز بطولة التمسكان وهو بستيانو بالياني ، ولكن بدون تحديد المصادر التي أخذ عنها^(٣) . والبحث في سجلات

والواقع أن هذه الرسالة ليست لغز الدين . وللوائلان كنولس وريكو قد أخذوا معلومتها عن هذه الفترة عن كتاب مينادوي الرحلة الإيطالي للمعاصر اقي زار سوريا ولبنان أثناء حملة إبراهيم باشا لإخضاع الدرروز في ١٥٨٥ . ومينادوي يورد نص هذه الرسالة باللغة الإيطالية ، ويقول إن ابن ممن قد أرسلها إلى إبراهيم باشا في يوليو ١٥٨٥ . ولقد نقل كنولس هذه الرسالة عن مينادوي إلى اللغة الإنجليزية . ولا يحدد مينادوي ولا كنولس (وريكو) من هو المقصود بابن ممن . على أنه لا يمكن أن يقصد بابن ممن في ذلك المقام الأمير نجر الدين ، لأنه كان إذ ذاك غلاماً صغيراً ؛ والمقصود بابن ممن ، هو قرقاز بن ممن والد نجر الدين ، وليس نجر الدين نفسه . والذي حاول إبراهيم باشا أن يحمله للتقدم عليه للمغرب . وبالهدية لا يمكن أن تكون هذه الرسالة قد صدرت عن الأمير نجر الدين إلى الباشا للترك في ١٦١٩ ، لأن كتاب مينادوي الذي يتضمن أقدم نص معروف عن هذه الرسالة قد طبع في البندقية في ١٥٩٤^(٤)

ومن الأمثلة التي توضح طريقة إثبات شخصية كاتب الأصل التاريخي أن الباحث في التاريخ قد يجد خطاباً باللغة الإيطالية مدوناً في باريس بتاريخ ٢٩ يونيو ١٧٨٩ وموجهاً إلى حكومة على رأسها مجلس شيوخ ، ولكن بدون تحديد تلك الحكومة وبدون تعيين الكاتب . ونفس هذا الكتاب يدل على أن كاتبه هو أحد الصفراء الإيطاليين في فرنسا . فن هو ذلك الصغير ؟ وإلى أية حكومة أرسل خطابه ؟ الحكومة الإيطالية الوحيدة التي كان على رأسها مجلس شيوخ في ١٧٨٩ هي جمهورية البندقية . فالخطاب إذاً قد كتبه سفير البندقية في فرنسا إلى حكومته . فن هو ؟ البحث في سجلات أرشيف البندقية يدل على أن سفير البندقية في باريس في ذلك العهد كان أنتونينو كابلو^(٥)

وقد يحتوي الأصل التاريخي على معلومات عن حوادث رآها شاهد العيان بنفسه أو على معلومات سمع بها ونقلها عن الغير . فينبغي أن يحدد الباحث على وجه اللغة أجزاء الأصل التي دونها الكاتب بناء على ما شهده بنفسه ، وتعتبر إذاً أصلاً من الطبقة

(١) Fling : op. cit. p. 79

(٢) Langlois & Seignobos : op. cit. p. 94

(٣) Archivio di Stato di Firenze : Strozzi I. 145. Im-

prese delle Galer (1558-1610). Bastiano Balbiani. pp. 1-45 b.

(٤) Minadoi, G. : Historia della Guerra fra Turchi e

Persiani. Venetia, 1594. pp. 279-281

Fling : op. cit. pp. 65-66 (٥)

أرشيف فلورنسا التاريخي بوضع أن بالبياني قد اقتبس مثلاً من أقوال بعض رجال الحملات البحرية للتسكانية بقيادة للفرانس فرنسكودل مونتى والأيرال أنجراى فى الشرق الأدنى وفى شمال أفريقيا فى ١٦٠٧^(١)

وقد يجد الباحث أحياناً مجموعات من الأصول والروايات تتناول بحث نقطة معينة ، فينبغى إذا جمعها وترتيبها وتقسيمها إلى مجموعات على حسب التقارب والاختلاف فى المعلومات التى ترددها ، وقد يكون للتقارب شديداً أو قد يوجد اختلاف بين هذه الأصول والروايات ، مثل الاختصار والاجتزاء فى مواضع ، والإطالة وإعطاء تفصيلات ومساائل جديدة فى مواضع أخرى . وقد توجد علاقة بين هذه الأصول التاريخية فى ناحية للنقل أو الاقتباس عن مصدر أساسى واحد . فعلى الباحث دراسة هذه الأوجه كلها لمعرفة الشخص أو الأشخاص الذين كتبوا فى هذه النواحي المتشابهة والمختلفة لتقدير ووزن أقوال كل منهم ، وسنعود إلى ذلك عند بحث ناحية أخرى من نواحي نقد الأصول التاريخية

وقد يكون الأصل التاريخى من عمل أكثر من مؤلف واحد . فالكثير من الأصول تدخل عليها إضافات وزادات وتعليقات فى مواضع مختلفة ، ثم تطبع ويصدر الأصل وما أضيف إليه كأنه من وضع كاتب واحد . إلا أنه من الممكن بدراسة هذا الأصل كشف الحقيقة ؛ وإذا وجد الأصل المخطوط أصبح من السهل تمييز الأصل من الإضافات والزادات . أما إذا ضاع الأصل المخطوط ولم يبق أمام الباحث إلا المطبوع أصبحت المسألة أكثر صعوبة . إلا أنه يمكن بالدراسة الوصول إلى نتائج مقبولة . فيدرس الباحث اللغة : هل هى واحدة أم متغيرة ، والأسلوب هل هو واحد أم متغير ، وهل تعود للكتاب فكرة واحدة وروح واحدة ، وألا توجد خلاقات ومتناقضات وجفوات فى تحمل الأفكار ؟ وإذا كان للكاتب القى أضاف فى موضع أو أكثر من النص الأصلى واضح للشخصية أمكن تمييزه ، وإلا ببق مجهولاً لدى الباحث فى التاريخ^(٢)

Archivio di Stato di Firenze : Mediceo. 2077. pp. (١)

747—749 b. & 751—758 b.

Langlois & Seignobos : op. cit. p. 93 (٢)

ولمرض لثال حققه الدكتور أسد رسم ؛ فإنه قد عثر على مخطوطة صغيرة تتناول أخبار الدولة المصرية للملوية فى سورية فى زمن إبراهيم باشا ، وكانت مُفغلاً من اسم المؤلف . ووجد الدكتور رسم أنها ليست تاريخياً واحداً ، وإنما هى ثلاثة تواريخ قسمها إلى (ا . ب . ج) ؛ ولاحظ أن هذه الأقسام لا تعطى حوادث متسلسلة ، ولا يبدأ قسم منها حيث ينتهى سابقه ، وأن الحوادث تتكرر فى أقسامها الثلاثة ، ولاحظ أيضاً أن (ا ، ج) يستعملان التاريخ الهجرى ، بينما (ب) يتخذ التاريخ السيسى ، ووجد أن (ج) أكبر الأقسام ، وأن أخباره تتعلق بجمادات لبنان مع إعطاء تفصيلات شخصية ديرانية عليّة عن دير القمر وبيت الدين . فرجع الدكتور رسم أن كاتب (ج) شخص لبنانى ديرانى ، أو أقام بدير للقمر على الأقل . فقصد الدكتور رسم إلى المكتبة البطريركية فى بركى ، وخص أوراق ١٨٣١ — ١٨٤١ ، وبمد الدراسة الطويلة عثر على رسائل مكتوبة بنفس الخط الموجود فى (ج) ، وبنفس اللغة والمهجة ، وعليها إمضاء تقص أنطون الحلبي . فأتجه الدكتور رسم إلى بطريرك الموارنة مارى إلياس حويك ، وعرف منه أن تقص أنطون كان من المقرين للأمير بشير الشهابى ، وأنه سكن بيت الدين ، وأنه كتب عن أحكام الأمير بشير ، وعن حروب إبراهيم باشا فى سورية ، وأن أغلب ما كتبه قد أحرق أثناء حوادث للصدام بين السيسىين والفرروز فى ١٨٤٥ . وإذا ، فالتقس أنطون الحلبي هو مؤلف المخطوطة (ج)^(٣)

وليس يكفى أن نعرف اسم المؤلف فقط إذا كان مجهولاً ؛

والفرض من معرفة الاسم هو معرفة شخصية وصفات للكاتب — لأن ذلك سيكون له قسط كبير فى تقدير قيمة المعلومات التى ترد فى الأصل أو للمصدر التاريخى . فلا بد من أن يجمع الباحث كل للمعلومات الممكنة عن شخصية كاتب الأصل التاريخى . وأحياناً يمكن للباحث أن يجمع معلومات عن شخصية المؤلف من بعض كتب التراجم ؛ أو يجمع معلوماته عن الكاتب من الأصل التاريخى الذى دونه . فمثلاً للكتابة المؤرخة فى ٢٤ يونيو

طبقات الأمة في ٢٧ يونيو ١٧٨٩؛ وهل ذلك فلا بد أن للمفسر قد دون كتابه بعد ذلك الحادث مباشرة وقبل أن يقع حادث آخر مهم . والمجلس اجتمع بعد ذلك في ٣٠ يونيو؛ فيكون للمفسر إذاً قد كتب خطابه إلى مجلس شيوخ اللبندقية في ٢٨ أو ٢٩ يونيو ١٧٨٩^(١)

ثم يواجه الباحث في التاريخ مسألة أخرى هي مسألة تعيين مكان تدوين الأصل التاريخي؛ وهي مرتبطة كل الارتباط بما سبق . وسواء كان النص الموجود أمام الباحث أصلاً تاريخياً من الطبقة الأولى أو أصلاً تاريخياً من الطبقة الثانية فلا بد من معرفة مكان تدوينه . فهل دون شاهد الميان الحوادث في مكان وقوعها أو في مكان بعيد عنه؟ أو هل أخذ معلوماته عن أشخاص شهدوا الحوادث بأنفسهم، وأين كان ذلك؟ وهل كان التدوين في مكان وظروف تجعل كاتب الأصل التاريخي قادراً على تصوير الوقائع تصويراً صحيحاً، أم أن التدوين قد حدث في مكان بعيد واعتمد الكاتب على الذاكرة والخيال في سرد الوقائع؟ المعلومات التاريخية التي ترد في الأصل قد تحدد مكان التدوين في بعض الأحيان . أو قد يمكن معرفة ذلك في المعلومات العامة عن الكاتب . فمثلاً بابي كتب مذكراته في ربيع ١٧٩٢ . ونعرف من التاريخ أن بابي كان في ذلك الوقت مقبياً في نانت . وإذا فهو قد كتب مذكراته في نانت وليس في باريس مسرح الحوادث التي كتب عنها^(٢)

(جلى)

مسن عثمانه

Fling : op. cit. pp. 72-73 (١)

p. 76 (٢)

١٧٨٩ عن بعض حوادث الثورة الفرنسية في باريس وقرساي يفهم الباحث من لفتها وأسلوبها وطريقة عرضها ومعلوماتها أن كاتبها شخص مثقف، وأنه شاب قوى الجسم يمكنه أن ينتقل من باريس إلى فرساي أثناء للطر للهمر؛ وبدرك الباحث أنه شخص منغمس جريء نوري، يتكلم بصراحة ويقرر أن يمثل الشعب لا يخافون الموت، ويعلم الباحث أيضاً أن الكاتب كان مهتماً بالحوادث التي شهدتها لعدة وصفها وحسن التعبير عنها . ولا ريب فإن هذه الأوصاف تنطبق على «كاميل ديمولان» التي كتب عن تلك الحوادث^(٣)

وللمسألة التالية في هذه الناحية من النقد هي معرفة زمن تدوين ذلك الأصل التاريخي . فالأصل أو الوثيقة قد تكون صحيحة، وكاتبها قد يكون من الأشخاص الذين يتعرون للصدق والبهمة عن الهوى، ومع ذلك فقد ينقص من قيمتها بعد الزمن بين وقوع الحادث ورؤيته وبين تدوين أخباره . فالذاكرة تخون الإنسان، ويفوت الكاتب حوادث وتفاسيل خاصة كلما بعد به العهد عن زمن وقوع الحادث مهما كانت رغبته في قول الصدق وسهما حاول استرجاع وقائع الزمن الماضي . فإذا كان الكاتب لم يحدد تاريخ تدوين الأصل التاريخي، فكيف يستطيع الباحث أن يحدد ذلك ولو بالتقريب؟ في بعض الأحيان يمكن بدراسة المحتويات وضع حدين لبدأ ونهاية الأصل؛ أي إنه يبين التاريخ التي لا يمكن أن تكون الحوادث قد وقعت قبله، والتاريخ التي لا يمكن أن تكون هذه الحوادث قد وقعت بعده . ولتعدد ذلك ينبغي أن يكون الباحث صاحب ثقافة تاريخية واسعة تتملق بالمصر التي يدرسه . ولا بد أن تكون الوثيقة أو الأصل قد دون بعد آخر حادث ورد به؛ ولكن من الجائز أن يكون التدوين قد حدث بعد ذلك زمن قصير أو طويل . وإذا فرضنا أن كتاب سفيز اللبندقية في باريس لم يكن مؤرخاً، فإنه يمكن معرفة تاريخ كتابته بدراسة محتوياته . فالحوادث التي ذكرها المفسر هي حوادث يونيو ١٧٨٩؛ وآخر حادث ذكره هو اجتماع مجلس

إعلان فقد ختم

حامد جادو من كفر دميرة لتقديم بمركز بلخا غربية يمان أن ختمه فقد منه وجدده بدله، وهو خالي الديون، وكل مساملة تظهر به تكون لافية وبماقب حاملها

Fling : op. cit. pp. 67-69. (١)

ثورة علي ابن سينا أو عقلية «الأركان»

للككتور جواد علي



لقد كانت صاحب هذه الثورة ومؤجج نارهها طبيب سويسري وفيلسوف أوروبي عاش في مدينة «بازل» Basel عاصمة العلم في الغاطمات السويسرية الألمانية في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر للميلاد^(١). طبيب كانت له نفس نواقة علي للتنقل من مدينة أوروبية إلى مدينة أوروبية أخرى ، ومن جامعة أوروبية إلى جامعة أوروبية أخرى في سبيل طلب العلم والحقيقة ؛ في سبيل إدراك كنه الإنسان ومر هذا الكون وعظمته

ولكنه كان حيث هبط في أرض أو حل في مدينة يجد للكتب اللاتينية العربية المترجمة عن العربية أو عن اليونانية تحتل المكان الأسمى في عالم علم ذلك الزمان ؛ ومجد الأطباء والعلماء بتجادلون في أبحاثهم وفق القواعد المنطقية المترجمة عن العربية أو اليونانية رأساً . يدونون آراءهم في الكون والإنسان وفق ما جاد في كتب ابن سينا ولا سيما كتاب «القانون في الطب» وكتب أرسطو وجالينوس . لم يكونوا يحكون عقولهم ، أو يستخدمون التجارب في أبحاثهم ، أو يجيلون النظر في الأفق البعيد . وهذا ما ساءه جداً ودفنه إلى إعلان عصيانه وتجرده علي كتب العرب واليونان معاً^(٢)

وقد عرف ذلك للطبيب الفيلسوف باسم الطبيب التنقل «بارساس» ؛ أما اسمه الحقيقي فكان يتركب في الواقع من بضعة

(١) ولد في سنة ١٤٩٣ وتوفي في سنة ١٥٤١ م ، راجع منه كتاب سيدهوف وعنوانه K. Sudhoff Thophrastus Paracelsus Sein Leben und Seine Persönlichkeit 1903. وكذلك كتابه الموضوع في قدح حياة بارسلوس وقد طبعه في مجلدين بين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ والكتب التي ألّفها كل من F. Strunm في عام ١٩٠٢ و F. Gundolf في مجلدين في عام ١٩٢٨ و F. Peukert في عام ١٩٢٨ م أيضاً

(٢) راجع كتاب Geschichte der Philosophie الفيلسوف الشهير كارل فورليندر K. Vorländer م ٢١٠

أسماء ضمت بعضها إلى بعض على عادة ذلك الوقت كان يدعى أوروبلس ثيوفراستس بارسلوس بومباستس فون هوهنسيهام (Aureolus Theophrastus Paracel Sus Bombastus Von Hohens Heim)^(١)

دعى بالطبيب التنقل لأنه كان مشغولاً بالأسفار محباً للتنقل من محل إلى محل ومن مكان إلى مكان . ولقد كون فيه هذا الميل عقلاً يختلف جداً في طراز تفكيره وأسلوب اشتغاله عن طراز تفكير واشتغال عقول علماء ذلك الوقت . جمع في أنسجته وخلاياه خلاصة الثقافات الأوروبية المختلفة والزرعات الثورية التي بثتها النهضة الأوروبية على القسديم اللبالي ، وخلاصة للزرعات العلمية التي بثتها التجارب العلمية التي بدأ يقوم بها علماء الطب والطبيعة في ذلك الحين . فشك في مقدرة كتب ابن سينا الطبية والفلسفية ، وتزلزل إيمانه بمقدرة كتب أرسطو أو أبقراط أو جالينوس على إنعاش حياة الإنسان من للتأخيتين الروحية والمادية . ونادى في المجتمعات العلمية وعلى رؤوس الأشهاد أن عصر ابن سينا واليونان يجب أن يزول ، وأن أياماً جديدة يجب أن تحمل محل تلك الأيام^(٢)

كانت فلسفة ابن سينا فلسفة هادئة ؛ وكذلك كانت فلسفة حكماء اليونان لم يكن فيها ما يبعث على المجازفات والمفاخرات والبحث عن الأسرار وبجاهل الأرض . بينما كانت أوروبا تتمخض عن حركة جديدة ، هي حركة تسخير العلم في خدمة الإنسان والاستفادة من الطبيعة في سبيل رفاهية ابن آدم . كانت كلمة «الأركان» Arkana^(٣) من أبرز الكلمات وأحلاها في قاموس علم ذلك الزمان . وكلمة أركانا تدل على معان جمة عميقة تدل على المادة السرية التي يمكن بواسطتها تحويل أي معدن خسيس إلى معدن ثمين^(٤) . ولا يستغرب صدور هذا الميل للمادى

(١) راجع كتب التراجم المذكورة وكتاب Scherr وعنوانه : Deutsche Kultur Und Sittengeschichte من ٣٦٠ وكذلك كتاب «قواعد تاريخ الفلسفة» لفيلسوف وتوليد Wiedelband من ٣٠٩ ، ٣١٢

(٢) راجع كتاب ألفريد روزنبرك وعنوانه Der. Mythos من ٦٠١ (٣) وهي كلمة لاتينية معناها المقصود للمادة السرية ، وتدلل على نفس

مذلول «حجر الفلاسفة» في اللغة العربية

(٤) راجع Scherr Deutsche Kultur s, 360

الأبيض» (١). وعلم السحر الأبيض في نظر إنسان ذلك الوقت علم جديد عملي مجرد عن الأباطيل والخرافات ؛ وقد ضمن هذا الإنسان على القدماء حتى في مصدر اللطم فقال : إن مصدر علم السماء ، أما مصدر علم القدماء فكانت الأرض (٢)

وما دام مصدر السحر الأبيض السماء ، فلم لا تكون للأجرام السماوية ذاتها يد في مقدرات الإنسان ؟ آمن إنسان الأركانا بفعل البروج والأفلاك في مستقبل الإنسان ، ولكنه لم يؤمن كما آمن الأولون . نعم آمن بقدرة البروج والأفلاك ، وأيقن بأهمية علم التنجيم ليتمكن بواسطة أسرار هذا اللطم من معاكبة تأثيرات ما في السماء ، وليسخر قوى البروج الخفية في صالح الإنسان . أما الإنسان الأول ، فقد آمن بها إيمان رجل مستسلم للشبهة والأقدار يرجو رضا القوى الخفية لتجلب إليه السعادة والرفاهية

رأينا تأثير السماء على الإنسان ، فلم لا يكون للأرض نفس هذا التأثير على الإنسان ؟ نعم ، للأرض إذا أثر هام على سكان الأرض ، وللإنسان إذا أن يتتبع علماً يقاوم تأثير هذه الأرض (٣) ، بل للأرض نفس الأثر ، حتى على ما في بطون الأرض ، فإذا ما تمكن الإنسان من اكتشاف سر هذا الأثر ، تمكن من إيجاد الملاجئ لتتأخر مقاومة تأثير الأرض . وقد بحث الإنسان عن المادة السرية التي يمكن بواسطتها تحويل المادان الخسيسة إلى معدن نفيس ، وتلك المادة الطلوية السرية هي حجر الحكماء أو الفلاسفة كما كانوا يطلقون عليها في القرن الخامس عشر للميلاد Steru der Weisen (٤) تؤثر على حياة الإنسان مجموعة قوى أخرى على رأسها «روح الإله العالمية» Gottliche Weltseele (٥) التي تمثلت جميع أجزاء هذا الكون ، وحلت في كل شيء ، فأصبح الكون هو الكون ؛ وما الإنسان في نظر بارلسل سوى «العالم الأصغر» Mikro Kosmos الذي هو صورة مصغرة «للعالم الأكبر» Marko Kosmos (٦)

الجشع من إنسان ذلك الوقت . فقد قلب القرن الخامس عشر للعالم رأساً على عقب . كدس الذهب والفضة في بلاط ملوك لبرنتال والأسبان ، وحرم الشعوب الأوربية الأخرى من مصادر القوت والثروة . ووجد حملة سر «الأركانا» في قصور الأسراء وملوك أوروبا سرزقاً حسناً جداً . كانوا يجوبون عواصم أوروبا ليعرضوا على سادتها آخر ما وصل إليه علمهم عن هذه الحكمة السحرية مشوقة الاغتيا . وكان أبرهم وأشهرهم Georg Honauer . الذي تمكن بواسطة بضاعته في علم (السيمياء) (١) وطلاقة لسانه ، من السيطرة على عقل الأمير (فردريك) أمير روتمبرك في عام ١٥٩٧ م ومن ابتزاز أموال الأمير بلا حساب ، لتحويل النحاس إلى المعدن الثمين الذهب . وقد سطر لنا عصر بارلسل عشرات وعشرات أمثال هذا العالم السيميان الشاطر (٢)

كانت «الأركانا» رمز عقلية الجيل الجديد ، ذلك الجيل الذي سخر من عقلية من تقدمه ، لأنها في نظره عقلية قديمة آسنة ذات تفكير قديم . كانت تؤمن بالخرافات وبزخارف القول وما جاء في الأساطير . وما الأركانا في نظره سوى ثورة جديدة على العصور القديمة وعلى ما أنتجته تلك العصور

ولكن الجديد في عقلية الأركانا حقاً هو ثورة للفرد على الطبيعة وثورة الإنسان النشط على الإنسان المترن الهادي ، ثورة الجرمانية على العربية واللاتينية (٣)

ولكي يبرهن ذلك الإنسان الجديد على أنه إنسان جديد في كل شيء . إنسان حرق إرادته وتفكيره فرّق بين علوم الأوائل وعلوم الأواخر ، بين علوم الأجيال التي سبقت القرن الخامس عشر وبين علوم الأجيال التي ظهرت بعد هذا القرن . سمى علم السحر القديم مثلاً «علم السحر الأسود» (٤) ، فيميزه عن علم السحر الجديد الذي ابتدعه وسماه «علم السحر

(١) لتمييز هذا العلم عن علم الكيمياء

(٢) راجع كتاب الدكتور كبور D. Gebauer و عنوانه Deutsche Kulturgeschichte

س ٨١

(٣) راجع Der Mythos س ٢٥١

(٤) راجع Du Prel Die Magie 1912, Schmidt Phi. wort.

s, 386 و Levi, Gesch der M. 2 Bde 1926

(١) راجع Dr. Gebauer Deut Kultur s, 81 وللمراجع السابقة

(٢) راجع Walter Schönfelder Phile im Überblick 1928 s, 21

(٣) Othmar Spann Philo Spiegel s, 275 271

(٤) Dr. Gebauer s, 81

(٥) نفس المصدر س ٨١

(٦) Aster Gesch der Philo s, 175

ومن واجب الطبيب تنظيف هذه المادة بما قد يمتلئ بها من الأرواح الخبيثة وذلك بواسطة العقاقير والأدوية المفيدة . وقد حضر الطبيب الفيلسوف قائمة بأسماء العقاقير والمشروبات المعدنية والأدوية السرية التي تنفع لمقاومة الأمراض النفسية والجسمية معاً . وما الأمراض في نظره سوى صراع بين الله Archeus وبين الأرواح الخبيثة والقوى الخارجية المحيطة بالإنسان^(١) . وبقدرة هذه العقاقير والمواد السحرية يستطيع الطبيب القوي هو أقرب مخلوق إلى الله من تنظيف الروح والجسد من الأدران ومن رفع مستوى البشرية إلى مصاف الأرواح السماوية العليا ، وبذلك يتم الاتصال بين « العقل الأول » أو « الروح » وبين العقل الثاني وهو الإنسان . ولذلك كانت لهذه الفلسفة شهرة عظيمة بين رجال المتصوفة من الأوربيين ولا سيما الألمان منهم ، فظهر حلاجهم وهو يعقوب بوك Jakob Boehme^(٢) ؛ وظهر فالتين وأيكل Valentin Weigel وظهر أمثال لهذين المتصوفين ينادون بالفتنة والأتحادية^(٣)

وبعد أن أتم بارلسس وضع قائمة عقاقيره السحرية أجمع في ليلة عيد الغفران من عام ١٥١٧ نارا عظيمة في حفل رهيب وتقدم في موكب يتبعه تلاميذه والمحبون بآرائه يعمل بيديه « إنجيل الأطباء » وهو كتاب « القانون في الطب » لابن سينا « لوثر الأطباء » كما كانت أوروبا تسميه Luther der Arzte ؛ وبعد خطبة وحفلة دينية مؤثرة ندد فيها بآراء ابن سينا وزعماء الطب من العرب واليونان ، ألقى بكتاب القانون في النار معلناً بذلك دخول أوروبا في عصر تفكيرى جديد . ولكنه قوبل من الناس بازدراء عظيم واضطرت بلدية المدينة إلى إخراجه من مدينة « باذل » لتجاسره على كرامة أعظم طبيب عرفته المصوب^(٤) . اجتمعت في بارلسس سذاجة القدماء وتفكير المحدثين . كان

وقد أسبغ صاحبنا على نظريته هذه توباً من أبواب الحلولية التي ترد في الصوفية الإسلامية أيضاً^(٥) وقد كان لها صدى بعيد في أنحاء أوروبا ، أثرت على أفكار فلاسفة اللطيان والألمان والإنكاز وغيرهم أمثال كيور دانو Giordano Bruno^(٦) وكامبينلا Campanella^(٧) وتيليزيو Telesio^(٨) وروينشلاين Reuchlin^(٩) وبرونوميلنشوتن Bruno Melanchton^(١٠) وأكريا فون نيتسهام Agripa von Nettesheim^(١١) وهرمان لوتسه الفيلسوف الألماني الشهير (١٨١٧ - ١٨٨١ م) في القرن التاسع عشر للميلاد^(١٢) قال بارلسس وفي العالم الأصغر وهو الإنسان قوى بنائية روحية تقاوم الأرواح الخبيثة التي تكون في الخارج وتساعد على بناء الجسم ودوام اتصاله بالعالم الأكبر ، وما للمالين سوى وحدة واحدة لا تتجزأ لذلك ، فأما العالم والعالم أما^(١٣) وقد سمي هذه المادة Archeus من كلمة Arche اليونانية ومناها المادة الأساسية أو الأساس . وكان الفيلسوف اليوناني أناكسمند قد استعملها لتدل على هذا المعنى^(١٤) والعلم القوي يبحث عن هذه المادة هو أشرف العلوم ؛ وحيث أن الطب هو العلم للباحث عنها ، لذلك كان علم الطب هو أشرف العلوم طراً وقد شرفه حتى على علم اللاهوت^(١٥)

- (١) راجع كتب الأستاذ ماسنيون من الحلاج و Max. Morica في كتابه من الفلسفة الإسلامية ، وكذلك بور وغيرهم
- (٢) فيلسوف إيطالي حر التفكير كان من الماراضين الكينية (١٥٤٨ - ١٦٠٠) . راجع Kuhlensbeck 1913 و Riehl 1900 وشفيد ٨٩
- (٣) فيلسوف إيطالي ولد في عام ١٥٦٨ وتوفي في عام ١٦٣٩ راجع كتابه « ملكة الشمس » وقد طبع عام ١٩٠٠ م
- (٤) فيلسوف إيطالي كذلك من الفلاسفة التجريبيين ، ولد عام ١٥٠٨ وتوفي عام ١٥٨٨
- (٥) من الانسانيين وقد حكم عليه بالهرطقة (١٤٥٥ - ١٥٢٦) راجع Geiger 1871
- (٦) فيلسوف تأثر بالمبادئ الصوفية الشائعة في ذلك العهد
- (٧) طبيب وفيلسوف ، وكان من المتقدين بالسحر ، وكان يسخر من علوم زمانه (١٤٨٦ - ١٥٣٥) وقد ترجمت كتبه إلى الألمانية
- (٨) (١٨١٧ - ١٨٨١) فيلسوف وعالم نسيولوجي ؛ راجع كتبه
- (٩) وهي فكرة الحلولية . راجع Arthur Eloesser ومعاون كتابه (تاريخ الأدب الألماني) ص ٣٤ ، ٣٥ ج ١
- (١٠) راجع Schmidt Philo s, 39
- (١١) K. Vorländer s, 210

(١) نفس المصدر

- (٢) كان من أشهر متصوفة الألمان وهو حلول يفرق بين ظاهر العريضة وبين الحقيقة على مثال متصوفة السليين . راجع كتاب فوليندر ص ٢١٩ ولد عام ١٥٧٥ وتوفي عام ١٦٢٤ للميلاد
- (٣) ولد هذا المتصوف عام ١٥٢٣ وتوفي عام ١٥٨٨ . راجع فوليندر ص ٢١٨
- (٤) تجد القصة مفصلة في تراجم حياة بارلسس وبمختصرة في كتاب الفيلسوف Vorländer ص ٣١٠

٢ - الصحافة والدولة

تأليف الصحفي العالمي وبكرهام استير

للأستاذ زين العابدين جمعة

الهامي

—————

الناس نفساً وأوفرهم استقامة بين ظهرانيهم بضربون بلك
المرارة الفاشية ضرباً مبرحاً ، وقد يكون ممهتاً — كما كان من
أمر (جيوفاني أمندولا) — أو يحكم عليهم بحد طوبى في
الأشغال للشاقة ، أو يرسلون إلى مسكرات ضاقت بمن سيقوا
إليها أو زوجوا فيها ، أو يوضعون تحت مراقبة البوليس في الحالات
الأخف وزناً وفي المخالقات الأقل خطورة وحتى أولئك الذين
أمكهم أن يهربوا من إيطاليا كالمرحوم (كارلو روزلي) قد
أدركوا أنهم لم يكونوا بمنجى من أن تصل إليهم أيدي المجرمين
وَمُدَى السفاحين

لذلك نجد في الفصل الذي عنوانه : (روح الصحافة الفاشية
وكيانها) — المذيل بمباراة عهد موسوليني كمنوان إضافي —
من الكتاب السنوي للصحافة الإيطالية موضوعاً أتقن منه
ما يأتي :

« وقتها ابتدعت الفاشية نظاماً للدولة ، واختفت من الميدان
للصحف المعارضة بمباراتها للقارصة وأسلوبها للاذع ؛ ووقتاً
اعتدت إلى صوابها الصحف للناقد الخارجية — تلك الصحف
التي ذاعت ثقافتها العقلية للتقليدية وكان لزاماً أن تحترم على
الأقل ما بقيت لها ألقابها للقدية — فقد أحس الجمهور لوقت ما
بشعور من الحيرة والارتباك ليس من الأمانة أن ينكر ، إذا كان
مما يتوار على السنة للناس قولهم : « أيسعنا أن نقرر أن
الحكومة لم تعد تخطيء ، وأن الدولة دائماً على صواب ؟ »
— وذلك لأن الجمهور الساذج غير المثقف يختلط عليه أمر
« الحكومة » و « الدولة » فيخالها شيئين مختلفين مع أنهما
اليوم وحدة لا تنجزاً لها ذاتيتها وخاصيتها . وسرابة للأمانة
والحق يجب أن نقرر أيضاً — ما دام الدولتي نفسه قد قرره —
أن طبع الصحافة بالطابع الفاشي لم يكن بالأمر النريب للتال
بل كان أمراً شاقاً ومنهجاً صعباً » ثم يمددنا الكتاب السنوي
إلى ذلك قائلاً : « ولكن أيسع أحداً اليوم أن يخبرنا عما إذا
كانت الصحف هي التي تكون الرأي ، أو كان الرأي هو الذي
يكون الصحف ؟ » ثم يضيف إلى ذلك :

« والصحف تارة تتقدم الأسلوب الثوري وتارة أخرى
تكون لاحقة له عند ما يجري قلب أوضاع المجتمع في سبيل
المدنية الحديثة انقلاباً جوهرياً ، تلك المدنية التي جددت
أسلوب للنظم العامة والخاصة ووظيفتها ، في شعوب أوروبية

أما بالإضافة إلى إيطاليا فجرد النظر في « الكتاب السنوي
للمعاصرة الإيطالية » وفي صفحاته التي تربي على الألف صفحة
كان لأن تتكشف منه الحقيقة عن أمر تلك المبودية التي انتظمت
الصحافة الفاشية فأست خاضعة لها . ولقد كانت كبريات الصحف
الإيطالية مثل صحيفة « الكوريري دلا سيرا » التي تصدر من
ميلان وصحيفة « الاستمبا » التي تطبع في تورين — وحسبنا
منها هاتان الصحيفتان — تنافس أعظم الصحف في أوروبا
وتناهضا قبل أن تتدع للفاشية نظاماً . بينما كان الصحفيون
الإيطاليون ينعمون في كتاباتهم بنصيب من الألمية وبراعة
الأسلوب ورقة العبارة لا يطاولم فيه أحد

ولقد انتهى أمرهم اليوم إلى أن نظمو في سلك « اللقابات »
والجسمات الرسمية وأمسوا وهم لا يستطيعون أن يؤديوا عملهم
ما لم تدون أسماؤهم في سجل المهنة ، ليكون ذلك شاهداً على
استقامة رأيهم وسلامة عقيدتهم في النظام الفاشي . ولقد حددت
مركزهم تلك الأوامر (الملكية) المقعدة تقهيداً لا حده ،
وسيرتهم موظفين مؤتمرين بأوامر تلك للفئة الوحيدة التي تحكم
الدولة . ولقد تلقى الصحفيون الإيطاليون درساً قاسياً عرفوا منه
ما ينتهي إليه التمرد على الفاشية من مصير وخيم . فلقد رأوا أهل

زمانه زمان انتقال نظمه بطابه الخاص . وجد المحدثون في
زماننا فيه رمزاً من رموز التفكير العنيف والانسانية الفعالة .
وهي الأخص للكتاب الأوربيون منهم . وجد فيه ألفريد
دورنبرك رجلاً أوروبياً أعلن حرب الجرمانية على الصامية واللاتينية ؛
لذلك أسست جمعية أطلقت على نفسها اسم جمعية بإرسلت قامت
بنشر رسائله ومؤلفاته لأبناء القرن العشرين^(١)

ميراد على

(١) راجع Schmidt s, 471 وكتاب Der mythuo s, 231

انتهينا فيما تقدم - وبسبارة صريحة - من عرض الميزات والفوارق الأساسية بين وظيفة الصحافة في الحكومة الاستبدادية ووظيفتها في الأمم الحرة التي ما زالت حرية الأفراد فيها وهي تمد أمراً طيباً في ذاته ؛ ولو كان المبدأ المقاتل بأنه :

« في سبيل الفاشية يجب أن تكون الحكومة حكومة مطلقة » هو مبدأ إيطالي الأصل والنزعة ، لسأخ أن يتقبله العقل الإيطالي وأن يتحمل ما ينطوي عليه من أعباء الممارسة الفعلية لمسألة هي أهم مسائل النظام الاجتماعي والسياسي . ومهما كان من التناسق والنلازم في أفكار موسوليني السياسية ، فهي مأخوذة - على وجه أو وجهين - من آراء « هيجل » ، للنيلسون الألماني الذي سيقت آراؤه عن الدولة - ولاسيما الدولة البروسية - في قالب صعب لا أكثر من عصر مضى ؛ ولم يكن ما تلقاه « فردريك أنجلز » ، « كارل ماركس » من آراء « هيجل » ؛

وما أوحى به إليهما فيما انتهيا إليه من نظر عن الدولة الشيوعية بالشيء القليل ، وعن « ماركس » ، « أنجلز » تلقى « جورج سوريل » رسول النفاذية^(١) في فرنسا أول ما تلقاه من مبادئ المنف النفاذي كوسيلة للانتقال السياسي والاجتماعي قبل أن يتمخبا إلى منهلها في فلسفة « هيجل » ، وينهل من هذا النبع المسموم ؛ وعن « سوريل » تلقى « موسوليني » بدوره هذه المبادئ الضارة والهيج الويل

فلقد صرح « هيجل » آتخذ في كتابه المروف « بفلسفة التاريخ » بأن الدولة هي أسلوب فعال مطلق ، وتجميد لفكرة (أي تجميد الحقيقة المساتة وراء الظواهر) . وعنده أن تلك الكائنات الحية التي تمش تحت ظلال هذا الأسلوب من الحق المطلق ، ليس لها من الحق في الاعترافات المستقلة بأكثر أو بأقل مما للخليفة بالإضافة إلى الهيكل البشري ؛ وهو يقول : « إن الدولة هي أسمى فكرة وأجل وحى وأنهل خاطر ، ينم الحياة ويميش على وجه الأرض » ، لأن : « جماع ما للكائن الحي من قيمة وجماع ما ينم به من الحقائق الروحية ، إنما ينبأه فقط ويأتيه عن طريق الدولة » ؛ يضاف إلى ذلك أن : الدولة غاية في نفسها وشمى قائم بذاته ، وهي النهاية للقوى التي يسمو حقها الاطلي على حتى للأفراد الذي ينطوي أسمى وإعيانه في أن يكون فرداً في الدولة

عظيمة كإيطاليا وألمانيا . ففي هاتين الأمتين نجد الصحافة اليومية وقد تميزت عن سائر الصحف الأخرى في باق أم الأرض تميزاً واضحاً »

فما هو هذا الشيء الذي يميز الصحافة النازية الألمانية والفاشية الإيطالية عن غيرها من صحف العالم ؟؟ هنا يتولى « الكتاب السنوي » شرح هذا الفارق المميز فيقول :

« إن الفاشية التي كانت للتناج المبكر بين حركات التجديد في أوروبا كانت حرباً صليبية كبرى لتحرير الروح الإيطالي ... فهل كانت رجعة إلى الفطرة الأولى ؟؟ نعم ، ولكنها في الواقع مفتوح ثورة فعالة من شأنها أن تميد إلى الشعب في غداة ثورة تاريخية عظيماً نوعاً من العيش للغد والحياة المبكر » . ثم يقول « الكتاب السنوي » أيضاً :

إن الصحافة الفاشية قد بعثت شباب إيطاليا بمشاً جديداً ووضعت أمام عينيه - وقد أجدت الاختيار واحترزت من أمره - حقائق لها قيمتها التاريخية لا مجرد أخبار مشوشة مضطربة . وما برحنا على حال لا يضابقها أن تقرر أن الصحافة قد أتت رسالتها تحت لواء النظام الفاشي ، ذلك للنظام الذي وضع للصحافة في الصف الأول ومنحها قيادة نبيلة ؛ الأمر الذي أصبح معه خضوع الصحف « لرأي الدولة » وهو من نوع استسلام الجندي المخلص لا من نوع تلك العبودية المفروضة على تابع أحسن إليه . و « رأي الدولة » هنا قد ورد ذكره وهرف في المجلد الثامن من كتاب « كتابات وأقوال بنتو موسوليني » إذ جاء به : « إن رأس الحكمة الفاشية هو إدراك معنى « الدولة » ومعرفة جوهرها وفهم أعمالها والإلام بأفراضها ومراهيها . فإذا كان من مقتضيات الفاشية أن تكون الدولة مطلقة للتصرف فذلك من جهة تلك الصلات التي تربط الأفراد والجماعات بالدولة وتربط الدولة بهم . ولا يباح للأفراد والجماعات الحق في التفكير وتكوين الرأي إلا إلى الحد الذي لا يتعدى نطاق ما اختطته الدولة . والحكومة الحرة لا تدبر أمر أعمال المجتمع وتصرفاته ولا تنهض بتقوم نتاجه للسادي والروحي بل يقتصر أمرها على مجرد تسجيل للتأجج ؛ بينما نجد الحكومة الفاشية ولها ما اختصت به من إدراكها لهذه المسائل ومن اختيارها لما تختاره منها ومن مشيبتها فيها ولهذا السبب لقبوها بالحكومة « الأدبية » ... »

(١) النفاذية : حركة عمالية توأمتها العمل على نقل وسائل الإنتاج والتوزيع من ملاكها الحاضرين لاتحاد العمال ونقاباتهم . وسبيلها إلى ذلك مادة هو الأضراب العام .

وهذه الندائم هي من نوع التوفيق بين وجهة للنظر الحرة ووجهة النظر للمسيحية على حقيقتها في الحياة . إذ كلا النظريتين يجعل لشخصية الإنسان قيمة عظمى . تلك الشخصية التي يمدّها للذهب الحرّ المنصر الأولى التي لا غنى عنه في مجتمع مكلف حر من الكائنات الإنسانية . بينما تنظر إليها العقيدة المسيحية كمتدوع لنفس الخالصة . وللصحافة الحرة قد هيئت لأن تمهض فور الوقت براجها نحو الحرية الاجتماعية والسياسية إذ تكون لسانها للناطق وخالصها الأمين . إلا أن الأمر يختلف عن ذلك تحت نير تلك للنظم السياسية التي تعامل الفرد كجرد تابع خاضع في كل شيء لإرادة حكومة مطلقة تمبر عنها أوامر حاكم مستبد حيث لا تصادف الصحافة الحرة ولا الصحفيون الأحرار أي عدالة أو ضمان

ولكن للساعة لا تنتهي عند هذا الحد إذ تصل إلى الأعماق من فلسفة الصحافة ذاتها . ففي الأمم الحرة ليس من شأن الصحافة ، ولا يمكن أن يكون من شأنها ومن شأن ما يسمى أحياناً (بمسئولية) الصحفي ، أن تكون مجرد صدى يردد ما يجري على لسان الحكومة من رأي . أو تلتزم بالتزام ذلك للصمت الذي يأخذ رجال السياسة أنفسهم به ، أو يجزى في عقيدتهم أنه من مقتضيات الراكز التي يشغلونها . والمصحف المستقلة إن أيدت السياسة في خططهم وكانت لهم سنداً في الاحتفاظ بمراكزهم فهي إنما تمنعهم هذا اللون طليقة مختارة وعن عقيدة شخصية قوامها أن هؤلاء السياسة يخدمون مصالح المجتمع جهد طاقتهم

ولقد بين « روبرت لو » (اللورد شربروك فيما بعد) للفارق بين واجبات الصحافة الحرة وواجبات رجال السياسة بياناً علمياً صائباً في المقالين الانتحاريين الخالدين الذين حررها لصحيفة « التيمس » في ٦ ، ٧ فبراير عام ١٨٥٢ وقتها كان « ديبلان » ينهض برئاسة التحرير فيها

ففي شهر ديسمبر من عام ١٨٥١ قام « لويس نابليون » بحركة غير مشروعة كان من أمرها أن وثب إلى كرسي الامبراطورية في فرنسا فنصب نفسه إمبراطوراً للدولة التي كان يقول رئاسة الجمهورية فيها . وكان من أمر اللورد « بلرستون » الذي كان يتولى وزارة الخارجية في ذلك الوقت من وزارة « رسل » أن أقر بالنيابة عن بريطانيا للمظلي هذا الأمر الواقع من غير أن تراجع زملاءه في ذلك ويبادلهم الرأي ومن

غير أن يحظر الملكة به . وإذ ذلك قامت قيامة صحيفة « التيمس » وأذنته هو و « لويس نابليون » بحرب شمواء جاهدتهما بها وناهضتهما فيها . ولقد بلغ من قسوة هذا النضال العنيف وما صيغ به من عبارة قارصة وأسلوب لاذع أن « ضاق لويس نابليون به صدرًا » وأمرت نأثره عليه ، وأن غضب له من شايه من الوزراء للبريطانيين وحاولوا أن يفلتوا من حملتها بتكريم فيها . إلا أنه لم يكن من أمر إقرار « بلرستون » لذلك الانقلاب التمبر مشروع والتي كانت له لئيد الطولي فيه إلا أن انتهى بمنزله ، إذ احتجبت الملكة احتجاجاً حازماً على ما كان من خطئ نهجه ، وأبى عليه رئيس الوزارة قبول معاذيره أو إقراره على حججه . واختير نملًا « لورد جرانفيل » خلفًا له ووزيراً للخارجية من وزارة رسل . وعقب ذلك بحوالي الشهرين سقطت وزارة رسل بأجمعها . ومحين الفرصة « اللورد دوبي » الذي خاف « لورد جون رسل » في رئاسة الوزارة . فأن واثته — بمناسبة ما نأثر وقتئذ من نقاش وما أتى من خطاب ردأ على خطاب للدرش — إلا أنمحي على صحيفة التيمس باللأعة وقبح منها ما كان من سفور للنقد وصراحة العبارة زاعماً : « أنه إذا كان من حق الصحافة للبريطانية في هذه الأيام أن تطمح لأن تقاسم السياسة سلطانهم ، أفلا يحق عليها أيضاً أن تقاسمهم مسئولياتهم ؟ » ولما كان « ديبلان » صحفياً مستقلاً يعرف لحرية الرأي حقها وخطرها ، فقد أحس من نفسه برغبة ملحة في ألا يدع هذه النظرية تمر من غير تحقيق وتمحيص ومن غير أن يظهر وجه الصواب منها ، فأوحى إلى « روبرت لو » أن ينفذها ، وأن يبين للناس الهادي التي تنظم كلا الأمرين حرية الصحافة وواجبات الصحفي في المجتمع الحر . ولقد نهض « لو » بهذه الحاجة برأى حازم وبصيرة نافذة ؛ وإذ أخذ في مناهضة تلك الزمام ومناقشة هذه للقضية المنطقية التي أثارها « لورد دوبي » بما زعمه من أن الصحافة التي تطمح في أن تشاطر السياسة سلطانهم يكون لزاماً عليها أيضاً أن تشاطرهم مسئولياتهم ، كتب في عدد التيمس الصادر في اليوم السادس من شهر فبراير عام ١٨٥٢ للقال الآتي : إذا كان للطرف الأول من هذه القضية ثابتاً مقرباً فلا جرم أن للطرف الثاني يتبمه في هذا لتنبوت بداهة . ونحن من بين الناس جهوراً أقلهم ميلاً لأن نضع من شأن ما نهض به من عمل خطير أو ننكر ما يقع علينا من مسئوليات وما تنتم به من سلطان

١١ - المصريون المحدثون

شمائلم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم ليو

للأستاذ عدلى طاهر نور

تعليم البنات

قلما يتعلم البنات للقراءة والكتابة . وكذلك لا يتعلمن الصلاة حتى بنات الطبقة الراقية . ويستخدم بعض الأغنياء « شبيخة » لتزور الحرم يوماً فتلعب بناتهم وجواربهم إقامة للصلاة وتلاوة بعض سور من القرآن . وقد تعلمن القراءة والكتابة ، إلا أن هذا ، حتى لنساء للطبقات الراقية ، شيء كالى يتدر أن يتم^(١) . وهناك عدة مدارس تعلم فيها البنات الخطاطة والتطريز الخ . واسكن إذا سمحت الظروف يمهّد بالبنات إلى « مهلة » تعلمن تلك الأشغال في منازلهم

(١) وقد تتلقى بنات الطبقات الوسطى علومهن مع الأولاد في مدرسة واحدة . إلا أن عادة بلبن الحجاب ولا يخاطرون الأولاد . وكثيراً ما شاهدت بنات حسان الهندام يقرآن القرآن في مدرسة ليتبن .

نستمدّه من قوة الشعب وثقة الجمهور . إلا أنه لا يصحنا معها يتبياً لنا من أمر هذا السلطان سواء كان عظيماً أم صغيراً ، أن نقرر أن من مقتضياته أن نشاطر رجال السياسة أعمالهم ، أو أن هذا السلطان مقيد بمثل ما يقيد به وزراء التاج من جهود العمل والزمن . ومثل ما يلازمهم من واجب ومسؤولية ، فكل من هذين السلطانيين متميز عن الآخر تمام التميز في مقتضياته وواجباته . وهما على العموم أمران مستقلان ، وأحياناً شيطان متمارضان يميزان على خطين متوازيين فلا يتقابلان ، والصعافة تمت بجزئيتها وتقيدها ومعد من نشاطها إثر تلك اللحظة التي تميل فيها أن تشغل مراكز السود من الحديد ، وأن تنزل منزلة التابع من المتبوع ؛ وهي إن عنت بتأدية واجباتها باستقلال صحيح تام ؛ وبالتالي بما يتطلبه منها جماع المصلحة العامة ، لها وسعها أن تهادن رجال الساعة من المصاحبة أو تحالفهم ، أو أن تخضع مالها من شأن خالد وتضع متواصل لما يتبها لأية حكومة من سلطات موقوتة ونفوذ سرعان ما يزول عنها أو تزول عنه

(الهبة في العدد القادم)

نزهة العامية

الفصل الرابع

المكرمة^(١)

قامت مصر - هذه السنوات الأخيرة - تقلبات سياسية عظيمة ، وزالت تبعيتها للباب العالي إلا قليلاً . وقد استقل حاكمها الخالي محمد على تقريباً ، بعد أن أباد القسز أو للماليك الدين شاركوا أسلافه الحكم ؛ إلا أنه أعلن ولاءه للسلطان ، وأصبح يؤدي الحراج للأستانة كما هي العادة . ثم إنه خضع لأحكام القرآن الأساسية والمنة . وهو - خلافاً لتلك - يتمتع بسلطة لا حد لها^(٢) . فهو يستطيع أن يقضى على أي فرد من رعاياه بالموت دون محاكمة أو تعيين سبب . وكفاه أن يحرك يده حركة أفعية بسيطة ليتضمن ذلك حكم الإعدام . ولكن يجب ألا يفهم من كلامي أنني ألح بعيله إلى صفك الهداء بلا موجب . إن من طبع هذا الوالي الصرامة الحازمة لا القسوة الشريرة . وقد دفعه طموحه المطلق إلى جميع الأعمال ، فكان يجلب لنفسه المدح تارة أو الملامة تارة أخرى^(٣) . ويوجد في قلعة العاصمة بحاس للقضاء يسمى (الديوان الخديوي^(٤)) ، برأسه في غياب الباشا نائبه (لكخنيا)^(٥) حبيب أفندي . وبيت رئيس الديوان الخديوي في الأمور التي تخرج عن اختصاص القاضي أو التي تكون واضحة بحيث لا تحتاج إلى الرجوع إلى القاضي أو أي مجلس آخر

(١) لما كان الإصلاح السياسي الذي أجراه محمد على سئق أميته العظيمة على الدوام ، ولما كانت التغييرات التي أحدثها خلفاؤه في نظمه قليلة الأهمية وطى العموم مخالفة لكل تقدم ، فقد أهدت هنا دون تغيير جوهري وصف حكومة مصر في سنتي ١٨٣٤ و ١٨٣٥ وما خيراً من حكمه . (٢) وإن كانت أرض ولايته قصت كثيراً منذ كتابه هذا إلا أن سلطته في مصر بقيت كما هي على التقريب

(٣) إن حكومة مصر منذ الفتح العربي لم تتغير كثيراً مما هي عليه الآن في تأثيرها على شمائل السكان وعاداتهم وطابعهم ، وذلك أرى أن لا حاجة إلى عرض تاريخ الماضي لتوضيح هذا الكتاب . إلا أنه يجب الإشارة إلى أن المصريين لا يسع لهم الآن بالاستمرار في معاملة الثغاري واليهود بذلك الظلة التعصبية الشديدة التي كانوا يطالونهم بها قبلاً . ومن هنا يدين السياح الأوربيون لمحمد على بالشكر ويستغفرون له بالجيل . وقد يزيد هذا التقيد شعور التعصب الزائد بادي الأمر ، ولكنه سيطلقه على الأرجح بمرور الزمن . ولم يتم بعد هذا التنبؤ ، وعلى النقيض من ذلك أظن استعمال العطاء ومستندى الحكومة لبيع الأوربية في ملابسهم وشمائلم وعاداتهم للزلية تعصب رجال العلم والدين ووجهة الشعب مموما

(٤) « خديوي » نسبة إلى الكلمة التركية « خديف » أي الأمير

(٥) هكذا ينطق به في مصر والأصح « كباچيا » أو « كخنيا »

وهناك عدة مجالس دينيا لإدارة شؤون الأقاليم المختلفة ، وأهمها : أولاً . « مجلس الشورة » ويقال أيضاً « مجلس المشورة الملكية » تمييزاً له عن المجالس الأخرى . ويختار الباشا أعضاء هذا المجلس والمجالس المشابهة الأخرى ممن يتحلون بمواهب أو صفات أخرى . ولذلك تخضع جميع قراراتهم لإرادته ورضائه ؛ ومآله ورهن إشارته ، ويكونون لجنة تشرف على إدارة البلاد العامة وشؤون الباشا التجارية والزراعية . وتعرض العرائض الموجهة إلى الباشا أو إلى ديوانه المتعلقة بالمصالح الخاصة أو بشؤون الحكومة على أعضاء المجلس وتخضع لتقديرهم وحكمهم ، إلا إذا وقت في اختصاص المجالس الأخرى المذكورة فيها بعد . فأنها (مجلس الجهادية) أو (مجلس المشورة العسكرية) واسمه يدل على مدى اختصاصه . ثالثاً مجلس (لترسخانه) أو البحرية . رابعاً (ديوان التجار) وقد أنشئ هذا المجلس الذي يتكون أعضاؤه من تجار مختلفي البلاد والدين تحت رئاسة (للشاه بندر) لينظر في بعض الأحوال الناشئة عن الماملات التجارية الحديثة مما لم ينص عليه في القرآن أو السنة

ويتولى قاضي القاهرة للقضاء في مصر مدة سنة واحدة ثم يرجع عند انتهائها إلى الآسفة . وجرت العادة أن يقوم للقاضي من القاهرة مع قافلة الحج الكبيرة إلى مكة فيقضى واجبات الحج ويبقى في المدينة المقدسة سنة واحدة ، وفي المدينة المنورة سنة أخرى ^(١) يقضى بين الناس . ويشترى القاضي منصبه بالممارسة من الحكومة التي لا تقيم أي اعتبار لمواهبه . غير أنه يجب أن يكون ذا علم ولو قليلاً ، وأن يكون مهتماً حقيقياً للذهب . وقلماً يجيد للقضاء اللغة العربية لأن مرفعتها لا تلزمهم . ولا يكاد للقاضي في القاهرة يعمل شيئاً غير التصديق على حكم (نائبه) الذي ينظر في أغلب الدعاوى العادية والتي يختاره القاضي من علماء استنبول ، أو التصديق على قرار (المفتي) الحنفي الذي يقيم دعماً في القاهرة ويصدر فتواه في القضايا الصعبة ، ولكن النائب على الأكثر قليل المعونة بالغة للصعبة ،

(١) جرت العادة أن يقدم القاهرة في أول رمضان ولكن حدد فيها بند أول محرم

وقد أهتمت في آحاء العاصحة دور كثيرة للشرطة ، في كل منها بطوك نظام أي فرق منظمة . ويسمى للشرطي « قلق » ^(١) أو « قراول » ^(٢) . ويقبض على من يتهم بالسرقة أو السطوح ويقاد إلى دار للشرطة الرئيسي في اللوسكي حيث يسكن أغلب للفرنج . وبعد أن ثبت التهمة كتابة يقاد المتهم إلى « الضابط » أي رئيس شرطة العاصحة . وبعد أن يسمع الضابط القضية يرسل المتهم للمعاينة أمام الديوان الخديوي ^(٣) . وعند ما ينكر المتهم الجريمة للجريمة إليه ، ولم يكن هناك دليل على الإداة ، يجهد ليحصل على الاعتراف بجريته . وحينئذ ، إن لم يكن قبلاً ، يعترف المتهم بالجريمة إذا كانت طبيعتها لا تعرضه لعقوبة شديدة . ويعترف الص عادة بمد هذا التصديق بقوله : « إن للشيطان أخراًني فعلت » وعقوبة المجرمين يرتبها نظام مستبد ولكنه لطيف حكيم . ويكون عادة بإلزامهم للقيام ببعض الأشغال العمومية مقابل قوت قليل ، مثل نقل القمامة وحفر القنوات الخ . وقد يجند الشبان الأقوياء متى كانت التهمة طفيفة . ويستحق محمد علي على استخدامه المجرمين لإصلاح البلاد وتحصينه الذبح القوي كان وفقاً على ساياكون Sabacon ^(٤) للفاتح الحبشي وملك مصر الذي يقال إنه أدخل هذا النظام ؛ إلا أن الباشا كان شديداً في معاقبة الجرائم التي ترتكب ضد شخصه فالإعدام هو للعقوبة العادية في أحوال كهذه

(١) من التركية « قول لقي »

(٢) والعامية يقولون « كركون »

(٣) كثيراً ما يستبد القانون بأمر هذا المجلس وما أشبه كما أن إتمام الاجراءات يتقصه الوفاة والأدب . فكثيراً ما يستعمل الموظفون الأتراك حق السكراء منهم ألقاظاً لا يستطيع أن أذكرها لشدة ما تنفزز منها النفس ، نحو المتقاضين .

(٤) ساباكو Sabaco أو شاباك Shabak أحد ملوك الأحياس . جرد حملة على مصر وتشر سلطانه عليها (٧٢٨ قبل الميلاد) . ولقب بملك مصر ، ولكنه ترك مباشرة الحكم لأخته أميريثس Ameniritis وزوجها بيانخي Piankhi . وكثيراً ما يرى شاباك وأخته على جدران سابد طيبة وغيرها .

وتؤكد الروايات اليونانية القديمة أن هذا الملك الحبشي حكم مصر حكماً لطيفاً فلم يلبأ أبداً إلى حكم الإعدام واستخدم المجرمين في حفر القنوات وبناء الخزانات

(انظر The Historians's History of the World الطبعة الخامسة سنة ١٩٢٦ الجزء الأوله ص ١٢٦) (المترجم)

قضية . ويستطيع التهم أن يبرى نفسه باليمين إذا لم يقدم المدعى شهوداً ، فيضع يده اليمنى على القرآن ويقول : بالله العظيم ثلاث مرات ، مردفاً : وبما يحتويه هذا من كلام الله . ويجب أن يكون للشاهد عدلاً أو زعم أنه كذلك ، وألا تكون له مصلحة في القضية . ويلزم لكل دعوى شاهدان^(١) على الأقل أو رجل وامرأتان ، ويجب أن يركب الشاهدين شخصان آخران . وشهادة الكافر على المسلم لا تجوز شرعاً في حالة العقوبة للشديدة . وللشهادة لصالح الإبن أو الحفيد أو الأب أو الجد لا تقبل وكذلك شهادة الأرقاء ، ولا يستطيع السيد أن يشهد لصالح عبده .

عبدك طاهر نور

(ينبع)

(١) هنا الحكم أخذ من الأسفار الموسومة الحجة . أنظر التثنية الاصحاح ١٩ الآية ١٥ وانصافاً : لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب ما أو خطية ما من جميع الخطايا التي يغتلب بها على فم شاهدين أو على فم ثلث شهود يقوم الأمر . ويستطيع الرجل أن يتمتع عن الشهادة

ولذلك يجب على القاضى فى القاهرة ، حيث يتكلم أغلب القضاة للمرية ، أن يضع غاية ثقته فى «الباش ترجان» ؛ ومنصب هذا دائم ، ومن ثم فهو يعرف أنظمة المحكمة ، وخاصة نظام الرشوة ، وهو على أتم استعداد لأن يلقن هذا النظام لكل من يستجد من القضاء والنواب . وقد يكون القاضى جاهلاً بالشرع جهلاً فإيضاً فى كثير من تفاصيله ، وقد حدثت عدة أمثلة من هذا النوع ، ولكن يجب أن يكون النائب بارعاً فى الشرع علماً وعملاً

وعندما يرفع للشخص قضية يذهب إلى المحكمة ويطلب من الباش رسول أن يرسل (رسولاً) ليحضر الخصم ، ويتناول الرسول قرشاً أو قرشين^(١) يقصدهما مناصفة بينه وبين رئيسه على انفراد . ويحضر المدعى والمدعى عليه فى بهو المحكمة الكبير : وهو غرفة كبيرة تواجه فناء ضيقاً ، ولها واجهة مكشوفة بها صف من الأعمدة والمقود ، ويجلس فيها كتابة يسمى الواحد منهم «شاهداً» ، وعمله أن يصنى إلى أقوال الطرفين فى القضية ويدونها ، ورئيسهم الباش كاتب ، ثم يقصد المدعى أى واحد من هؤلاء للكتابة ويقرر أمامه ظروف القضية ... فيذبتها للشاهد كتابة ، ويتناول جملاً قدره قرش أو أكثر ، ثم بعد ذلك يصدر حكمه إذا كانت القضية لا قيمة لها والمدعى عليه يمتدح بمدلتها ، وإلا قدم للطرفين إلى النائب فى غرفة داخلية . وبعد أن يسمع النائب القضية يأمر المدعى أن يستعد فتوى من مفتى الحنفية الذى يتناول جملاً يندر أن يقل عن عشرة قروش ، ويريد غالباً على مائة قرش أو مائتين ، ويصدر النائب حكمه فى القضايا للثانية منفرداً وبأقل نسب . أما للقضايا المهمة أو المقعدة فإنها تنظر فى غرفة للقاضى الخاصة أمام القاضى نفسه والنائب ومفتى الحنفية الذى يستدعى للفصل فيها بفتوى ؛ وقد تزيد القضية صعوبة أو أهمية ، فيستدعى بعض علماء القاهرة ؛ وبعد أن يصنى المفتى إلى القضية يصدر حكمه كتابة ، فيصدق للقاضى عليه ويحتم الورقة بحتمه ، وهذا كل ما عليه أن يعمل فى أى

إعلان

تعلن وزارة الزراعة للمرة الثانية عن بيع ثمار موالح بتفتيش الزراعة بالجيزة مركز السفطة غربية بجلسة علنية ستعقد بدوان التفتيش الساعة العاشرة من صباح يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٤١ فملى من يرغب فى الشراء معاينة الثمار والحضور فى الجلسة ومعه التأمين عشرة فى المائة من قيمة عطائه وللوزارة الحق فى قبول أو رفض أى عطاء بدون إبداء الأسباب

٨٧١٨

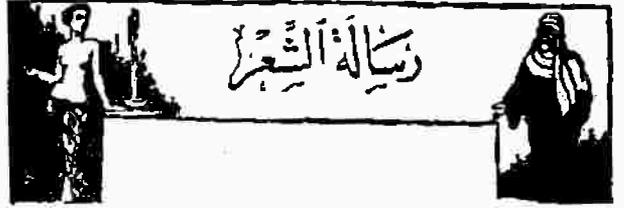
(١) وكان القرش المصرى عندما كتب هذا يساوى خمس الشلن

قد ماتت الدنيا وجافت وجانبت
إذا كنت لي يوماً ولو بعض ساعة
فسوف أرى الدنيا على سوء فيها
فكن مُنقِذي من جورها المتلاحق
تجودُ بها جود الحبيب الموافق
أطابير من لهُو الشباب الفرائق

دقائق كالأعوام طالت ولم تنجني؛
سيفتلي شوق إليك فهل أرى
أحبك حب القلب لو حى فالتقي
شبتت بقلبي ثورة لم تمنها
وصيرتني لا صرت مثلي عبرة
فحتي متى أحضو عليك ولم أكن
أحبك حب الصين للنور فاهدني
إلى الصبر عن لقياك إن كنت صادقي
وهل أبصر الراءون من عصبة الهوى
نظيرك في أوامهم والحقائق؟
لك الحمد بين الخاتلين فولتي
أحبك حباً لو تمثلت وقده
لأسبت في كرب من الخزن ساحق

إلى الله أشكو ما أعانيه من جوِي
هو الدهر يرمى بالصرور الصواعق
إلى خالق الأرواح أشكو بليتي
تورقتني أطياف ذكراه سحره
بروح غدور في الغرام وما ذق
بروع كأحوال الخطوب الطوارق
فما الذنب؟ ما ذنبي وما كنت في الهوى
سوي شاعر للصدق في الحب خالقي
سقطرتي، أحابيل الملاح وتنطفي
ويبقى نسيدي في هواك وثيقه
على الدهر نيران الشجون المواقق
تسجل أحلام القلوب الخوافق

« الشاعر المجهول »



إلى ...؟!!

« للشاعر المجهول »

—

تحدثت بالهتاف^(١) أنك حاضر
فكيف ترى عيشي يطول فأجتني
ألوف من الأحلام طافت فداعبت
إيناس رُوحى بعد منع دقائق

فؤاد أسير ظامي الروح وامق
فما صح حلم في هواك ولا انتهت

على اليأس موجات الدموع الدواق
أنت برغم الصد والدل قادم
أمثلك تسديه الحياة إلى فتى
لإسعاد مشتاق وإنجاد عاشق؟

مريد الهوى والشوق وغير الخلائق؟
وكيف أرى داربي على ضيق ساحها

تحيط بديان الشمس الشوارق؟
سألك - هل ألتاك؟ - في ثوب ضيم

برى الرفق بالفزلان إحدبي البوائق
تعال تجدني جذوة من صبابه
لنجواك أستبق شبابي فعاطني
تسعر في صدر مشوق وشائق

كؤوس الهوى قبل ايضاض الفارق
وأعزز فؤاداً لو أردت جعلته

أعز من الشعواء^(٢) في رأس شاهق

(١) الهتاف : هو التليفون

(٢) الشعواء : العنقاء بضم السين

يكون حقيقاً عن أموال الناس ، ووظيفته أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وأن يقصد بقوله وقوله وجه الله تعالى واجتناء مرضاته الخ .

لأهل يوسف

دكرم حماده ،



المحتسب في الإسلام

أصل كلمة النفط

أرى أن كلمة النفط عبرية الأصل ، وتنطق في العبرية نُفْتِيتْ وقد وردت في التوراة في مواضع مختلفة بمعنى التقطير أو القطر أو القطرات ، وهو المعنى الأصلي الذي أخذ منه اسم زيت البترول (نفت) لملاحة التقطير أو القطر في كلِّ

في الآية لثلاثة من الإصحاح الخامس من كتاب الأمثال « لأن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عملاً (نفت) وفيها أنهم من الزيت » . وفي الآية لثلاثة عشرة من الإصحاح الرابع والعشرين من الكتاب نفسه « يا بني كل عملاً لأنه لذيذ وقطره (نفت) حلوا في فك »

وفي الآية لثلاثة عشرة من الزمور التاسع عشر نجد « وأحلى من العسل وقطر (نفت) للشهد »

والأمثال والمزامير من أقدم كتب التوراة . ولا أذكر أنني عثرت في الأدب الجاهلي أو الإسلامي على كلمة قط أو نفت فن الرجح إذاً أن تكون الكلمة عبرية الأصل دخلت العربية بعد الفتح الإسلامي . هذا إلى أن كلمة (نفت) أو نפט مستعملة في الفارسية الحديثة والتقدمية . وأذكر أنني قرأتها في المشاهمة الفارسية ، وإن كنت لا أستطيع الآن وهنا أن أنص على موضعها لعدم الرجوع

(بحث الرضا . سودان)

عبد العزيز عبد الحميد

في نقد الأصول

ذكرني الدكتور حسن عثمان في بحثه - نقد الأصول - التي هو فصل من بحوثه اللغويات التي ينشرها في « الرسالة الزهراء » تحت عنوان (كيف يكتب التاريخ) ذكرني ذلك بما كنت قرأته في ترجمة الخطيب البغدادي المؤرخ المظلم ، فإنه لما رجع من مكة إلى بغداد تقرب من رئيس الرؤساء أبي القاسم بن محلة وزير القائم بأمر الله ، وكان قد أظهر بعض اليهود كتاباً

نشرت مجلة الجمعية الصحية المصرية في عدد من أعدادها الأخيرة مقالاً قبالاً للدكتور فريد بك حلى المفتش بوزارة الصحة عن نظام التفتيش على المأكولات والاشتراطات الصحية في المهد للفاطمي معتمداً في بحثه على كتاب « معالم القرية في أحكام الحسبة » لمؤلفه محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخن ، أثبت فيه أن المحتسب كان يقوم في هذا المهده بوظيفة مفتش مأكولات ومماون صحة ومفتش موازين ومفتش بيطري ، وبالجملة يعتبر من رجال الضبطية القضائية ؛ وكانت الاشتراطات التي يفرضها المحتسب على المحلات لا تقل دقة عن اشتراطات وزارة الصحة اليوم إن لم تفقها ، وللتدليل على ذلك نذكر بعض ما يخص الجزائر قال :

« لا يجزر الجزائر شاة رجلها جراً عنيقاً ، ولا يذبح بسكين كالة لأن في ذلك تعذيب الحيوان ، ولا يشرع في الصلح بمد الذبح حتى تبرد الشاة وتخرج منها الروح . وينهى الأبخر من التفتيح في الشاة عند الصلح لأن نكهته تغير اللحم وتزفره ، ويمنع المحتسب القصابون من الذبح على أبواب دكاكينهم فإنهم يلوثون للطريق بالدم والروث ، وهذا منكر يجب النجس منه ، وأن يفردوا لحوم المزم عن لحوم الضأن ، وينقطوا لحم المزم بالزعفران ليميز عن غيره وتكون أذنان المزم معلقة على لحومها إلى آخر البيع ولا يخلط لحم الذكر بالأنثى » .

هذا جزء بسيط مما كان يقوم به المحتسب ، ومثل ذلك كان يفرض على كافة الحرف والصناعات .

وكان المحتسب يدخل في صميم الصناعة بشكل بموجب به ابن القرن العشرين لمعرفته بطرق الفتن التي تخفى على الكثيرين ، والتي لا تمنحها شروط وزارة للصحة إلا عن بعد . ومن شروط الحسبة والمحتسب أن يكون مواظباً على سنن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأن

إلى اتجاهات جديدة أن تجد من حلة أقلامها وقادة الرأي فيها مثل هذه الشجاعة فيثورون على هذه التقاليد التي تضر ولا تنفع. قال الأمام يا أستاذ - للطنطاوي - وأكثرت من هذه الأبحاث فيها ترقية للذوق للشرق وتهذيب للأخلاق وسعادة للمجتمع والله موفقك ومبارك غايبتك محمد أحمد عمر

عبر كذا ...

رداً على الأستاذ الكبير « ا.ع » أقول :

كنت احتججت بيت سواد بن قارب

فשמرت عن ذيل الإزار وأرقلت

في الدعلب الوجناء عبر السباب^(١)

وقلت في الحاشية : « ولعل من الإنصاف أن أقول : يمكن

تخرج للشاهد على غير ما استشهدت له بجمل «برسفة للناقة الخ»

ومن ثم يرى للفقاري أني لم أوجب أحد الرأيين ، وأنى أجزتهما

ولكني - في هذا الشاهد - رجعت للمعنى المعنى للعبور ،

على أن يكون مصدراً مراداً به اسم الفاعل

ولكن الأستاذ « ا.ع » يحتم في رده أن تكون صفة

ثالثة للناقة لا غير . ويرى أن للشاعر في مقام تمديد محاسن نأته

وما فيها من مزايا ، فهو يصفها بالفتاء والقوة ، وبأنها قادرة

على شق السباب الخ ...

وردأ على ذلك أقول : لا يتعين في هذا الشاهد قصر المقام

على تمديد محاسن للناقة ، فإن في قوله « الدعلب » زوهم للناقة

للسريمة ، و « الوجناء » وهي اللقوية للشديدة ، كما في اللسان

ما يبنى عن الوصف بأنها « عبر سباب » ، وهو معنى لا يخير

سابقه كثيراً

ويؤيدني فيما أذهب إليه ورود البيت في بعض الروايات

على معنى اللطرية لا الوصفية . ففي السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٧ :

فشمزت من ذيل الإزار ووسطت

في الدعلب الوجناء بين السباب

وكذلك الرواية في (سفينة الرائب ص ٦٣٨) نقلاً عن (أنوار

الربيع في أنواع البديع)

(١) وتم تخرج ثالث في البيت لا أرى ما يمنه ، بجمل المعنى

الجانب أو الناحية كما في الفاموس واللسان ، وتكون مفعولاً لأرقلت بمعنى

قطعت ، قال في اللسان : « وأرقل للنازة نطمها »

وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادات للصحابة وأنه خط على رضى الله عنه ؛ فرضه رئيس الرؤساء على أبي بكر الخطيب فقال : هذا منور ، فقيل له من أين لك ذلك ؟ قال في الكتاب شهادة معاوية ابن أبي سفيان ومعاوية أسلم يوم الفتح وخيبر كانت في سنة سبع ؛ وفيه شهادة سعد بن معاذ وكان قد مات يوم الخندق في سنة خمس . فاستحسن ذلك منه محمد أبو البراء

في الخوارج

كتب الأستاذان للصمدي والأفغانى (في الأعداد ٤٢٢ ، ٢٣ ، ٣١) في تحقيق نسبة كلمة في الخوارج إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى سيدنا علي بن أبي طالب . وسأل الأستاذ للصمدي عن المصدر الذي نسب هذا القول إلى علي ، وأجاب الأستاذ الأفغانى بأنه (للمقد للفريد)

وإليك رواية تؤيد أن الخبر من كلام سيدنا علي وردت

في قديم المصادر وثيقها . قال المهيم بن عدى حدثنا إسماعيل بن

خالد عن علقمة بن عامر قال : سئل علي عن أهل النهروان

أمشركون هم ؟ فقال من الشرك فروا ، قيل أمناقون ؟ قال إن

المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، فقيل فإمير المؤمنين ؟

قال إخواننا بنوا علينا ققاتلناهم بينهم علينا . فهذا ما أورده

ابن جرير الطبري وغيره في هذا المقام . أنظر (البداية والنهاية

لابن كثير) ج ٧ ص ٢٨٩ و (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للإمام ج ٦ باب في الخوارج ، باب في أهل النهروان

أحمد مفرام

من الضائف

طلع علينا المدد (٤٣٠) من « الرسالة » وهو يحمل مقالاً

قياً للأستاذ - علي للطنطاوي - عن « حق الضائف » وقد

رأيت هذا المقال الممتع ثورة على أخلاقنا ونقداً لتقاليدنا وصورة

من صميم الحياة المصرية فكشف الستار عن داء عضال في المجتمع

يجب استنصاه ؛ وهذا لا يتناقض مع التثامه والكرامة ، فقد أخذت

للضائف في هذه الأيام وسيلة للمضايقة ومجالاً للتسلية والمسامرة

وضياعاً للمصالح . وما أحوج مصر الحديثة التي أصبحت في احتياج

الكبير (ا . ح) « خاصاً باستعمال كلمة (عبر) ظرفاً وبيان وجه الخطأ في ذلك . وإنما توافق الأستاذ الكبير على كل ما أورده في كلمته القيمة ؛ أما ادعاء الأستاذ محمد محمود رضوان صحة استعمال (عبر) ظرفاً واستشهاده على ذلك بقول سواد بن قارب :

فشمرت عن ذبلي الإزار ، وأرقت

في الدعبد الوجناء عبر السباب

فهو ادعاء باطل من وجهين :

الأول : احتمال كون (عبر) صفةً للناقة ، والليل إذا

ظرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال

الثاني : فساد المعنى يجعل (عبر) ظرفاً بمعنى بعد ؛ لأنه

لا معنى لإرقال الناقة بعد قطع السباب والانهاء إلى غايتها

وعندي أنه يصح أن تكون (عبر) في هذا البيت مصدرأ

مفعولاً لأجله ، ويكون المعنى أن الناقة أرقت لغير السباب

أي لمبورها . وهو معنى صحيح مناسب لا غبار عليه

هذا ، والأستاذ الكبير إعجاباً بالكبير بأبحاثه الفوقية الممتدة .

والسلام عليكم ورحمة الله

ابراهيم محمد نجما

الصباح الابرؤبي في دمشق

أسدر فريق من أبناء دمشق لناهضين صحيفة أدبية راقية

باسم « الصباح » ولم يشأ القاعون بهذا المشروع أن يكتفوا

بالشبان من الأدباء ، بل اتفقوا مع فريق من أكابر الأدباء

والأدبيات في البلاد العربية ، كي ينفذوا « الصباح » بشعرات

أقلامهم لناهضة ، وفي مقدمة هؤلاء الأساتذة :

محمد كرد علي ، شفيق جبري ، خليل سردم بك ، هبد القادر

المعربي ، محمد إليزم ، ميشيل علق ، فؤاد الشائب ، صلاح الدين

الحمايري ، زكي الحامسي ، وداد سكاكيني ، فلك طرزي ،

وغيرهم .

وعما لا نرتاب فيه أبداً أن « الصباح » ستكون كما ظهر من

عددتها الأول امرأة صادقة للأدب الجديد لناهض في سورة .

ع . ع

وليس معنى هذا أنني أؤيد استعمالها ظرفاً ، ولكني لا أزال أرى أنها مصدر وقع موقع اسم الفاعل . فقد خرج من حسابنا ما ساقه الأستاذ من الأدلة على أنها ليست ظرفاً ، فهو رأى لم أقل به .

وزجع إلى التخرج التي رأيت ، وجهد الأستاذ أن يفقده ، فقال : إن المصدر لا يقع حالاً إلا إذا كان نكرة ، و « عبر للسباب » معرفة بالإضافة ، وأبطل بهذا - في زعمه - تخريجي .

وأقول : إن الأستاذ لم يبين رأيه على وجهه الصحيح ، إذ توهم أنني أرى « عبراً » مصدرأ أربد به الحال ، ولم أقل هذا ، وإنما قلت : إنه مصدر وضع موضع اسم الفاعل ، فهو عبر بمعنى طاب ، كما في قوله تعالى : (إن أصبح ماؤكم غوراً) ، أي غارأ ؛ ورجل عدل ، أي عادل ...

وسواء وقوع هذا المصدر بعد ذلك حالاً أو خبرأ أو فاعلاً الخ . فذلك راجع إلى السياق ... فقد أصبحت للتضحية الآن : هل يشترط تنكير المصدر إذا وقع موقع اسم الفاعل ، بصرف النظر عن كونه حالاً أو غير حالاً ؟

لم يقل أحد هذا ، فأنت تقول : « قاضيك للعدل » ، أي للعدل ، و « أنصفتي عدلكم » ، أي عادلكم . فأنت ترى أنني لم أنص على أن كلمة « عبر حال » - حتى يشترط تنكيرها - وإنما نصصت على أنها مصدر بمعنى فاعل ، وكونها « حالاً » أمر اقتضاه سياق الكلام في الجدل التي ساقها الأستاذ وساعد عليه أن المصدر سيفقد تعريفه بعد التقدير ، وسيصير المضاف إليه مفعولاً ، وذلك في قولك : « طابرة الأطلنطي » ؛ فليس ثم ما يمنع من أن يكون المصدر « حالاً » بعد أن فقد تعريفه

وبعد ... فإني أنشد الحقيقة ... وعلى الأستاذ أن يفهمني إن استطاع - فأسلم له . ومعنى عليه للتحية

محمد محمود رضوان

« ابن سرف »

للدرس بالمدسة الابتدائية

حول كلمة « عبر »

سيدى الأستاذ الكبير « الزيات »

سلام الله عليك . قرأت بإعجاب كبير ما دمجته براحة الأستاذ